

٣٧٣

السجل العلمي لندوة المؤرخ

عثمان بن عبدالله بن بشر

١٢١٠-١٢٩٠هـ / ١٧٩٥-١٨٧٣م


الجزو الأول من كتاب عنوان المجد في تاريخ
نجد جمع الفقير الى الله سبحانه الشيخ
عثمان بن عبدالله بن بشر النجدي
غفر الله له ذنوبه
وستر عيوبه
امين




السجل العلمي لندوة المؤرخ
عثمان بن عبد الله بن بشر
١٢١٠-١٢٩٠هـ / ١٧٩٥-١٨٧٣م



السجل العلمي لندوة المؤرخ

عثمان بن عبدالله بن بشر

١٢١٠-١٢٩٠هـ / ١٧٩٥-١٨٧٣م

بحوث اللقاء العلمي عن المؤرخ عثمان بن عبدالله بن بشر
الذي عقدته دارة الملك عبدالعزيز في مدينة جلاجل
في المدة ٢٠ من صفر ١٤٣٧هـ (٢ ديسمبر ٢٠١٥م).



فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

دارة الملك عبدالعزيز

السجل العلمي لندوة المؤرخ عثمان بن عبدالله بن بشر.- دارة الملك عبدالعزيز الرياض، ١٤٣٨هـ

١٥٤ ص: ١٧ × ٢٤ سم

ردمك:٨ - ٧٦-٨١٩٤-٦٠٣-٩٧٨

١- ابن بشر، عثمان بن عبدالله، ت ١٢٩٠هـ ٢- المؤرخون السعوديون

أ- العنوان

ديوي ٩٢٨,٠٥٣١ ١٤٣٨/١٠٤٢٤

رقم الإيداع: ١٠٤٢٤ / ١٤٣٨

ردمك: ٨ - ٧٦-٨١٩٤-٦٠٣-٩٧٨





تقديم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الهادي الأمين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن دارة الملك عبدالعزيز قد أنشئت لأهداف سامية نبيلة، تأتي في مقدمتها خدمة تاريخ المملكة العربية السعودية وجغرافيتها وآدابها وتراثها. وقد أولت دارة الملك عبدالعزيز تاريخ المملكة فائق عنايتها وجل اهتمامها، لما له من مكانة في حفظ العمق التاريخي للبلاد الضارب في القدم، ولتوثيق هذا التاريخ ورصده وتسجيله ونشره وإتاحته للدارسين والباحثين للاطلاع عليه، وحمايته من الضياع والتشتت والتحريف.

وقد حققت الدارة في هذا المجال بحمد الله وتوفيقه منجزات عدة ما كان لها أن تتحقق لولا فضل الله سبحانه وتعالى أولاً، ثم العناية الفائقة والاهتمام الكبير والدعم غير المحدود المقدم للدارة من لدن خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز آل سعود أيده الله، وسمو ولي عهده الأمين صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن سلمان بن عبدالعزيز آل سعود حفظه الله.

وقد سعت دارة الملك عبدالعزيز من خلال مسيرتها في العناية بتاريخ المملكة العربية السعودية، إلى العناية بإلقاء الضوء على أعلام هذا التاريخ ورواده، والاحتفاء بالجهود السخية التي قدموها لخدمة هذا التاريخ الجليل، وتوجيه الأجيال المتعاقبة للاطلاع على سيرهم الذاتية وعطاءاتهم المعرفية المتنوعة.

ومن هذا المنطلق نظمت الدارة ندوة علمية عن المؤرخ الشيخ عثمان بن عبدالله بن بشر رحمه الله في مدينة جلاجل مسقط رأسه في يوم الأربعاء ١٤٣٧/٢/٢٠هـ (٢٠١٥/١٢/٢م)، وهدف هذه الندوة تكريم هذا العلم المؤرخ، والتعريف به، وتوجيه الدارسين والباحثين نحو دراسة آثاره وعطاءاته العلمية.

ويتضمن هذا الكتاب الذي نقدم له السجل العلمي لهذه الندوة، مبتدئاً بالتعريف بهذا العلم الرائد نشأته وحياته ومؤلفاته، وقد قسمت الندوة إلى إطارين، إطار تاريخي تضمن تعريفاً بابن بشر المؤرخ، حيث تناول بالدراسة إنتاجه العلمي، ويأتي في مقدمته كتابه المهم (عنوان المجد في تاريخ نجد)، فيوضح سبب تأليفه، ومنهجه وأسلوبه وملامحه وآراء بعض المؤرخين فيه.

أما الإطار الثاني للندوة فألقى الضوء على ابن بشر أديباً، موضحاً العلاقة بين الأدب والتاريخ، مشيراً إلى شذرات من الأدب في آثار ابن بشر، مركزاً على كتابه (مرشد الخصائص) حيث وضح موضوعاته ومصادره ومادته الأدبية، كما أشار إلى ملامح الأدب في مؤلفات ابن بشر الأخرى، مثل (عنوان المجد)، و(سهيل فيما جاء في ذكر الخيل).

وقد رأت دارة الملك عبدالعزيز أهمية طباعة هذا السجل العلمي ونشره لما فيه من تكريم لأحد أعلام المملكة العربية السعودية في مجال العناية بالتاريخ، إلى جانب ما تضمنه من دراسات وبحوث تعرف بجوانب مختلفة من الجهود العلمية والأدبية للشيخ عثمان بن بشر، وتوجه الباحثين نحو العناية والاهتمام بها.

دارة الملك عبدالعزيز

المحتويات

الصفحة

ابن بشر أديباً

كلمة الدارة

د. فهد بن عبدالله السماري

الأمين العام لدارة الملك عبدالعزيز المكلف

صاحب السمو الأمير عبدالرحمن بن عبدالله آل سعود/محافظ محافظة المجمعة

أصحاب الفضيلة العلماء

أصحاب المعالي والسعادة

أيها الحفل الكريم

نلتقي في ليلة من ليالي الوفاء والتكريم والاعتراف بالفضل والتقدير لرجال خدموا الوطن وأخلصوا له من أمراء أجلاء وقادة عظام وعلماء راسخين في العلم وأدباء ومؤرخين وقادة للرأي وأعمدة للنهضة والرقي.

نلتقي الليلة في افتتاح برنامج دارة الملك عبدالعزيز لتكريم أعلام المملكة العربية السعودية.

أيها السادة والسيدات:

تبنت دارة الملك عبدالعزيز برنامجاً علمياً لتكريم أعلام المملكة العربية السعودية منذ الدولة السعودية الأولى إلى يومنا الحاضر، وقد وافق مجلس إدارة الدارة برئاسة خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز حفظه الله ورعاه على البرنامج، ولم يكتف جلالته بالموافقة بل كان يتابع كل خطوة من خطوات البرنامج ويحث المسؤولين في الدارة على سرعة التنفيذ؛ تقديراً منه لهؤلاء المواطنين الذين خدموا المملكة في مختلف الجوانب.

وقد شكلت الدارة لجنة علمية للإشراف على البرنامج فوضعت اللجنة معايير علمية لترشيح من سيكرّمون ضمن البرنامج، منها:

١ - أن يكون لأعمال المرشح تأثير واضح وخدمة وطنية ومشاركة فاعلة في بناء الدولة.

٢ - مراعاة السياق التاريخي الذي برزت فيه الشخصية المرشحة للتكريم.

٣ - طبيعة إسهام المرشح ونوعيته ومدى تأثيره على مستوى الوطن.

٤ - يراعى عند الاختيار أيضاً:

أ - تنوع الاهتمامات والأعمال للمرشحين.

ب - التنوع في المناطق والأقاليم؛ ليعم التكريم من يستحقه من مختلف المناطق.

ويشمل برنامج التكريم لكل واحد من المكرمين:

١ - ندوة علمية لمدة يوم واحد تعد إعداداً جيداً متكاملاً، ويرشح للاشتراك فيها ببحوث وأوراق عمل لعدد من المتخصصين.

٢ - تجمع البحوث المقدمة عقب الندوة بعد تعديلها في ضوء المناقشات في كتاب وثائقي.

٣ - تصدر الكتب الوثائقية عن الأعلام المكرمين ضمن سلسلة خاصة تصدرها الدارة بعنوان: (من أعلام المملكة العربية السعودية)، وتأخذ السلسلة شكلاً وتصميماً وترقيماً خاصاً بها.

٤ - يُدعى أولاد المكرم وحَفَدته إلى حفل التكريم، وإن أمكن إقامة معرض مصغّر عن العَلَم فسيكون ذلك إضافة جيدة إلى الحفل.

وفي هذه الليلة المباركة مساء يوم الأربعاء ١٤٣٧/٢/٢٠هـ ينطلق البرنامج بتكريم المؤرّخ الكبير عثمان بن بشر في مسقط رأسه بلدة (جلاجل) وسيكرم

بجلستين: الأولى احتفائية، والثانية علمية يلقى فيها عدد من البحوث التي تتناول حياة ابن بشر ومؤلفاته ومكانته بين مؤرخي المملكة.

وسيتبع هذه الندوة ندوة أخرى في محافظة الأحساء يوم الثلاثاء ١٤٣٧/٣/٤هـ عن المؤرّخ حسين بن غنام، وثالثة يوم الثلاثاء ١٤٣٧/٣/١٨هـ في عنيزة عن المربي الكبير محمد بن مانع، ثم تتوالى الندوات بإذن الله لتشتمل في المرحلة الأولى من البرنامج على تكريم ستين علماً من أعلام الدولة السعودية.

أيها السادة والسيدات:

أشكر أولاً الله سبحانه وتعالى الذي وفق دارة الملك عبدالعزيز لأداء الواجب نحو هؤلاء الأعلام.

ثم الشكر لخادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز الذي رعى البرنامج وتابعه، وذلك نابع من حبه وتقديره لأبناء الوطن الذين قامت نهضته وتقدمه على أكتافهم.

ولا يفوتني شكر اللجنة العلمية للبرنامج برئاسة الزميل الدكتور محمد بن عبدالرحمن الربيِّع المستشار بالدارة، والباحثين والمشاركين في التنظيم.

وختامـاً:

فإن دارة الملك عبدالعزيز تبذل كل ما في وسعها لخدمة تاريخ المملكة العربية السعودية، وما هذا البرنامج الذي نفتتحه الليلة إلّا واحد من برامج متنوعة تنفّذها الدارة في تحقيق كتب التاريخ ونشرها، والعناية بالتاريخ الشفوي، وجمع تراث الجزيرة العربية وثائقها ومخطوطاتها، وتبني إصدار موسوعات ضخمة في جوانب متعددة وهو ما يخدم ذاكرة الوطن.

والله الموفق.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



كلمة أسرة ابن بشر

الشيخ محمد بن عثمان البشر

الحمد لله العزيز العليم، يرفع الله الذين آمنوا والذين أوتوا العلم درجات، والصلاة والسلام على عبده ورسوله محمد أنزل عليه الكتاب والحكمة، وعلّمه ما لم يكن يعلم، عليه صلوات الله وسلامه وعلى آله الأطهار وصحابته الأبرار العلماء الأخيار ومن سار على هداهم ونهل من علمهم.

صاحب السمو الأمير عبدالرحمن بن عبدالله بن فيصل آل سعود محافظ محافظة المجمعة

معالي الدكتور فهد بن عبدالله السماري الأمين العام لدارة الملك عبدالعزيز المكلّف

أصحاب الفضيلة والإخوة الكرام

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الوفاء يُذكر لأهل الوفاء، والشكر يُقدّم لأصحاب العطاء، والتقدير يستحقه من بادر بالتكريم والتنويه بأهل الفضل أولي الأمر من علماء وأعلام.

أيها الإخوة الكرام:

مملكتنا أعزها الله بالعلم وبالتوحيد الخالص، وشرّفها بتحكيم كتابه وسنة رسوله وخدمة الحرمين الشريفين فارتفع مقامها في العالمين، كما نزّهها عن انتشار البدع والشركيات والخرافات بفضله تعالى، ثم بوجود علماء عَلِموا فعملوا

ثم علَّموا، وأدركوا فخلّفوا، في ظل قيادات مؤمنة راشدة تعين وتحترم، مع صعوبة المواصلات، ومحدودية وجود المراجع والمكتبات، ومع ضيق في مقوّمات الحياة.

أذن المولى الكريم بقيام الدعوة السلفية على يدي الإمامين الجليلين: شيخ الدعوة محمد بن عبدالوهاب، وإمام النصرة محمد بن سعود تغمدهما الله بواسع رحمته ومغفرته، فازدهر سوق العلم وكثر معلموه وأقبل عليه طالبوه، وتيسّرت سبله، وسهلت مقاصده، وذلّلت عقباته بفضل من الله تعالى، ثم بدعم من أولي الأمر الصالحين وتشجيعهم.

صاحب السمو، أيها الإخوة الكرام:

دارة الملك عبدالعزيز شجرة طيبة تعهدها صاحب الأيادي البيضاء خادم الحرمين الشريفين الملك المفدّى سلمان بن عبدالعزيز حفظه الله، وزادها شرفاً أن حملت اسم الملك المجاهد والإمام الصالح عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود موحّد البلاد وموطّد الأمن والأمان، جامع الكلمة، مؤلّف القلوب، عليه رحمة الله.

وتشرفت بقيادة رجل العلم والتاريخ والثقافة والأدب والإدارة والحزم والعزم سلمان بن عبدالعزيز، فثبّت أصلها، وسما فرعها، وأصبح كياناً متميزاً أخذ مكانه في صفوف الحقول العلمية الإنتاجية الرائدة.

هذه الدارة أخذت على عاتقها الاهتمام بكل ما ألف وكتب عن بلادنا؛ عن كفاحها وعن تميّز ولاتها وعلمائها بالعلم والعمل به، واتخذت لها منهجاً موفقاً قوامه الوفاء للشخصيات العلمية من أبناء الوطن السابقين واللاحقين من طريق تجميع مؤلفاتهم وإخضاعها للتحقيق والتدقيق، وطباعتها طباعة مميزة، ونشرها بين أوساط العلماء والقراء والمجتمع كله، وفي هذا المجال استقطبت نخبة من العلماء والأدباء وأصحاب الفكر الذين بذلوا جهودهم في مجال المراجعة والتحقيق،

فتحقق بذلك إكرام تلك المؤلفات وتكريم مؤلفيها، ونشأ عن تلك الجهود الموفقة نهوض ثقافة عامة، وإلمام مطلوب بما كتب وعلم وسجل هذا النهج من الأهداف التي توليها الدولة كل اهتمام.

أيها الحضور الكرام:

نحن حفدة الشيخ عثمان بن عبدالله بن بشر سرّنا وأثلج صدورنا ما حظي به جدنا من اهتمام وإشادة تجلت في عناية الدارة من خلال عقد هذه الندوة بتوجيه من خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان، والبحث بكل الوسائل عن مؤلفاته المتعددة المخطوط منها والمطبوع، فتيسّر لها ذلك بفضل من الله، ثم بصدق النية وسلامة القصد، ثم وكلتها إلى المختصين المتميزين بعلومهم، فأعطوها من وقتهم وجهودهم الكثير أحسن الله لهم، ثم تفضلت بإخراجها بطباعة ممتازة ونشر واسع لها.

وفي مقدمة ما نال جدنا من تكريم امتد إلينا نحن حفدته من لدن صاحب الفضل الملك سلمان فقد تكرّم باستقبالنا والجلوس معنا مرتين، مشيداً بآثار والدنا ومستقبلاً ما قدمناه من مخطوطات لدينا، وهي مخطوطة لـ(عنوان المجد في تاريخ نجد) نطمع أن تكون بخط المؤلف، ونسخة خطية أخرى بخط أحد النسّاخ، ومن ذلك كتاب (مرشد الخصائص) بخط الشيخ نفسه، تناولها وفقه الله بترحاب، ووجّه بالعناية بها بحضور معالي الدكتور فهد بن عبدالله السماري الأمين العام لدارة الملك عبدالعزيز المكلّف صاحب المبادرات والخطوات المحمودة في الاحتفاء بالشيخ عثمان وآثاره وما نلقاه من معاليه دائماً من حفاوة وتكريم وتعاون ومن زملائه موظفي الدارة، فلهم منا جزيل الشكر والثناء.

صاحب السمو، الإخوة الكرام:

هذه الندوة العلمية التوثيقيّة التي بادرت دارة الملك عبدالعزيز إلى تنفيذها،

وسارعتم لرعايتها والمشاركة فيها، ووفقت الدارة في اختيار مكان إقامتها (مسقط رأس الشيخ ابن بشر)، وهي مدينة جلاجل العريقة بتاريخها ورجالها وعلمائها، فذلك تكريم للمسكن والساكن، ونحن إذ نسعد بحضورها تملؤنا الفرحة ويغمرنا السرور مقدرين وشاكرين كل من له يد في فكرتها وفي تنفيذها، ولأصحاب الفكر الأجلاء الذين شاركوا بورقات عمل تُلقي المزيد من الأضواء على أثر الشيخ عثمان، عليه رحمة الله، وآثاره، وتفصح عن الأهمية البالغة التي توليها الدارة للعلم والعلماء ولتراث الوطن المجيد.

نحضر هذه الندوة مبتهجين بهذا الحضور، وبهذا التجاوب من لدن شريحة كبيرة من محبي الشيخ وعلمه وآثاره.

صاحب السمو، أيها الأفاضل:

الدعوة السلفية التي نتفيّأ ظلالها ونجني ثمار تعاون الإمامين: محمد بن سعود ومحمد بن عبدالوهّاب على نشرها، فكل مواطن يعرف ما لهذه الدعوة الصادقة من أفضال توحيد وعلم وتعليم وحكم راشد، كان والدنا من محبيها بصدق، ومن المعترفين بفضلها، فوضع كتابه الشهير (عنوان المجد في تاريخ نجد)، ومن اعتزازه بها جعل أول سني حوادثه سنة ظهور الشيخ محمد بن عبدالوهّاب سنة ١١٥٨هـ، واستمر في تسجيل عصورها وعصور سبقتها في سنين متسابقة مدة مئة وعشرة أعوام حتى عام ١٢٦٧هـ.

وفي هذه الندوة التي هي مظهر من مظاهر تكريم الشيخ، وبهذا الحضور الكريم نحن حفدته المتعاقبين من أبنائه: أحمد، وناصر، وعبدالمحسن، ومحمد رحمهم الله تعالى نتوجه إلى معالي وزير التعليم، ومعالي مدير جامعة المجمعة، متشفعين بسموكم الكريم، راجين أن تحمل القاعة الرئيسة بالجامعة اسم الشيخ عثمان بن

بشر؛ لأن كتبه من مراجعها، ومولده ومقامه وتأليفه بأحد مراكز المحافظة، وليكرّم في بقعة من بقاع العلم، ونلتمس تسمية مدرسةٍ وشارعٍ باسمه في جلاجل.

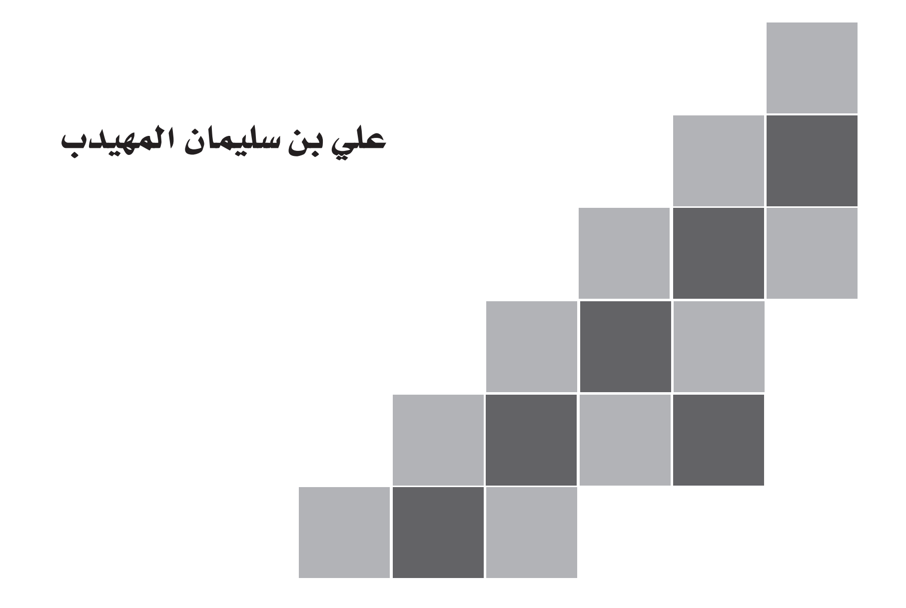
وفي الختام: أكرّر الشكر باسمي وباسم حفدة العلّامة الشيخ عثمان بن بشر وأسرته، وأستميحكم العذر لإطالتي، فمناسبة مثل هذه تفيض فيها العواطف وتنطلق المشاعر، وقد يكون من الصعب حبسها أو الحد منها، فلله الحمد في الأولى والآخرة، وله الشكر والثناء، ثم لكم جميعاً رعاة ومنفذين ومشاركين وجمهوراً صادقاً، امتناننا وتقديرنا، ونرفع أكف الضراعة إلى المولى عز وجل أن يكلأ بلادنا بحفظه، وأن يديم علينا ما نرفل به من أمن وأمان ورخاء واستقرار وسط خضم يموج بالفتن وبالهرج والمرج.

حفظ الله راعينا الأمين وقائدنا الحازم الراشد، وشدّ عضده بنائبيه وإخوانهم وأعوانهم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.



ابن بشر: نشأته وحياته

علي بن سليمان المهيدب





تمهيد:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

ظهرت عدد من الدراسات والبحوث التي تناولت الشخصيات ممن خدم تاريخ المملكة العربية السعودية بأطوارها الثلاثة في مختلف العلوم، وهناك شخصيات لم تنل حقها من التعريف والترجمة بجميع جوانبها، ومن هؤلاء الشيخ عثمان بن عبدالله بن بشر، فمع شهرته ومكانته العلمية، لا توجد له ترجمة وافية تليق به، وتلقي الضوء على نشأته، وحياته، وسيرته، وتنقلاته، وعلاقته بالأئمة آل سعود والعلماء والكتاب، وغيرها من حياته الشخصية، ومع ما يملكه ابن بشر من قدرات فذة ومواهب عظيمة فإنه لم يترجم لنفسه، أو يذكر جزءاً من حياته، أو رحلاته لطلب العلم مثلاً، ومع ذلك تفوق في التأليف في علوم شتى في الفقه والتاريخ والأدب والفلك والخيل، ونسخ عشرات الكتب، وكان خطه حسناً، ووُصف - رحمه الله تعالى - بأنه أديب لبيب فاضل، حسن السيرة، كريم الأخلاق[1] مع تمتعه بمكانة اجتماعية مرموقة لدى المجتمع.

لهذا تحتم علينا التفصيل عن نشأته وحياته؛ لتكون نافذة ولو صغيرة للأجيال على معرفة جزء من حياة أجدادهم، ولعله أيضاً يكون قدوة لهم ومثالاً يحتذى في الجد والمثابرة في العمل، والتغلب على التحديات والصعاب، والتفاني في خدمة المجتمع[2].

---

(١) ابن عيسى، إبراهيم بن صالح، عقد الدرر فيما وقع في نجد من الحوادث في آخر القرن الثالث عشر وأول الرابع عشر، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ١٤١٩هـ، ص ٨٩.

(٢) المقرّي، محمد بن سعد، (محقق)، كتاب الإشارة إلى معرفة منازل السبعة السيّارة، لابن بشر، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ١٤٣٦هـ، ص ٢٩.

وأتقدم بالشكر الجزيل لكل من أفادني في جمع مادة هذا البحث، وأخص بالشكر والتقدير الشيخ عبدالعزيز بن الشيخ أحمد السلمان وابنه الأستاذ محمد، والشكر موصول لدارة الملك عبدالعزيز، وعلى رأسهم معالي الأمين العام الدكتور فهد بن عبدالله السماري، والأستاذ سلطان بن حمد العويرضي، والأستاذ أيمن بن عبدالرحمن الحنيحن، والإخوة في قسم الوثائق والمخطوطات بالدارة، والشكر موصول للأخ خالد بن عبدالله البشر، والأخ وليد بن محمد البشر، وأسأل الله سبحانه وتعالى التوفيق، في هذا البحث، وأن يقينا شر العثرات، ويغفر لنا وللجميع الزلات.

نسبه:

هو العلامة الشيخ عثمان بن عبدالله بن عثمان بن محمد بن حمد بن بشر[١] بن حمد بن محمد بن حماد من آل حرقوص من قبيلة بني زيد[٢] المنتشرة في شقراء والدوادمي والشعراء والقويعية وبعض بلدان نجد، انتقل جده عثمان بن محمد بن بشر من بلد شقراء إلى بلد العودة بسدير، وتملكوا هناك وما زالت الأملاك تحمل اسمهم ومن أشهرها (فيد ابن بشر)[٣]، ثم انتقل والده عبدالله وأعمامه ناصر ومحمد إلى بلد جلاجل واستقروا فيها.

---

(١) حسب ما كتب الشيخ عثمان بخطه في نسخه لمخطوطة (كتاب الصلاة) لمؤلفه محمد بن أبي بكر الشهير بابن قيم الجوزية، انظر: العنقري ٤٣ – ٣، قسم المخطوطات، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض.

(٢) المنيع، عبدالله بن سليمان، العقد الفريد في نسب الحراقيص من بني زيد، الرياض، ١٤٣٦هـ، ط٢، ص٣٠٩.

(٣) الفيصل، عبدالعزيز بن محمد، معجم عودة سدير، الرياض، مطابع الفرزدق التجارية، ١٤٢٤هـ، ص١١٨.

مولده ونشأته:

ولد الشيخ عثمان بن بشر في بلد جلاجل سنة ١٢١٠هـ/ ١٧٩٥م[١]، وفي سن الخامسة توفي والده في سنة ١٢١٥هـ، فنشأ يتيماً[٢]، وفي صغره تعلم القرآن الكريم والقراءة والكتابة على يد الشيخ علي بن يحيى بن ساعد قاضي بلد سدير (ت ١٢٢٩هـ)، حيث يقول ابن بشر في إحدى رسائله: «ونحن صغار نقرأ عند علي بن ساعد أنا وياه في العلم»[٣]، والشيخ عبدالله بن سليمان بن عبيد (ت ١٢٤٢هـ) إمام جامع بلد جلاجل زمن الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود (ت ١٢١٨هـ) وابنه الإمام سعود (ت ١٢٢٩هـ).

شيوخه:

أشار ابن بشر في تاريخه ومراسلاته إلى بعض شيوخه الذين درس على يدهم، وإلى الحركة العلمية في سدير، وفي الدرعية عاصمة الدولة السعودية الأولى، وفي الرياض عاصمة الدولة السعودية الثانية في زمنه، وأشار إلى سماعه من غيره من طلبة العلم والعلماء حينما وصف مجالس العلم للأئمة آل سعود وأبناء الشيخ محمد بن عبدالوهاب[٤]، وذلك في أثناء رحلته لطلب العلم في كل منهما، إذ كان شغوفاً بالعلم والمعرفة محباً للعلماء، ومن ذلك كلامه عن مجالس العلم لأبناء الشيخ محمد

(١) البسام، عبدالله بن عبدالرحمن، علماء نجد خلال ثمانية قرون، الرياض، دار العاصمة للنشر والتوزيع، ١٤١٩هـ، ط٢، ج٥، ص١١٥.

(٢) حسب ما ذكر الشيخ المؤرّخ محمد بن عمر الفاخري في هامش حوادث سنة ١٢١٥هـ من مخطوطة (عنوان المجد في تاريخ نجد) للشيخ عثمان بن بشر في المتحف البريطاني في لندن تحت رقم 771 - 5r.

(٣) وثيقة من الشيخ عثمان بن عبدالله بن بشر إلى الشيخ عثمان بن إبراهيم بن عبيد في إيضاح صحبته مع الشيخ عبدالرحمن بن محمد بن عبيد (ت ١٢٨١هـ) ودراستهما منذ الصغر على يد الشيخ علي بن يحيى بن ساعد.

(٤) أشار ابن بشر في تاريخه إلى كثير من المعلومات والفوائد القيمة عن مجالس العلم في الدرعية والرياض فيما بعد في عهد الدولة السعودية الأولى والثانية عندما تطرق إلى وفاة الأئمة آل سعود وكبار العلماء، وبين في مراسلاته جانباً من الحركة العلمية في سدير وخصوصاً في بلده جلاجل.

بن عبدالوهاب بقوله: «أبناؤه الأربعة العلماء والقضاة الفضلاء الذين جمعوا أنواع العلوم الشرعية واستكملوا الفنون الأدبية وقيدوا الأصول والفروع ونهجوا مناهج المعقول والمشروع، حسين وعبدالله وعلي وإبراهيم، ولقد رأيت لهؤلاء الأربعة العلماء الأجلاء مجالس ومحافل في التدريس في بلد الدرعية، وعندهم طلبة علم من أهل الدرعية، ومن أهل الآفاق من أهل صنعاء وزبيد واليمن وعمان وغيرهم من نواحي نجد والأقطار»[(١)].

وقد تنقل ابن بشر بين حلق العلم في سدير والدرعية والرياض وغيرها، طلباً للعلم، واطّلع على كثير من المعارف والفنون غير العلم الشرعي مثل: التاريخ والفلك والأنساب والأدب والشعر وغيرها من الفنون الأخرى، ومن أبرز المشايخ الذين درس عليهم، وأفاد من علمهم:

١ - الشيخ إبراهيم بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ولد بالدرعية في النصف الثاني من القرن الثاني عشر الهجري ودرس على يد والده الشيخ محمد بن عبدالوهاب وغيرهم من علماء الدعوة بالدرعية، درس عليه ابن بشر في صغره كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبدالوهاب في الدرعية بعد قدوم ابن بشر إليها، يقول ابن بشر: «وأما إبراهيم ابن الشيخ، فرأيت عنده حلقة في التدريس وله معرفة في العلم ولكنه لم يل القضاء، قرأت عليه في صغري سنة أربع وعشرين ومئتين وألف»[(٢)]، وبعد سقوط الدرعية عام ١٢٣٣هـ كان ممن نقل إلى مصر وتوفي فيها[(٣)].

٢ - الشيخ عبدالكريم بن محمد بن معيقل، ولد في بلد القرائن بالوشم مقر

(١) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، عنوان المجد في تاريخ نجد، تحقيق: عبدالرحمن آل الشيخ، الرياض، دارة الملك عبدالعزيز، ط٤، ١٤٠٢هـ، ج١، ص ١٨٦.

(٢) ابن بشر، نفسه، ١/ ١٩٠-١٩١.

(٣) ابن بسام، علماء نجد خلال ثمانية قرون ١/ ٤١٧.

أسرته آل معيقل وذلك في النصف الثاني من القرن الثاني عشر الهجري، درس على يد علماء الوشم، ومن أجلهم الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله الحصين، وهو عالم فقيه امتنع عن القضاء، وتولى إمارة القصيم وسدير في عهد الإمام سعود بن عبدالعزيز[١]، درس على يده ابن بشر في بلد جلاجل في زمن إمارته بسدير، وانتفع بعلمه، وأثنى عليه ابن بشر فقال: «شيخنا العالم الفاضل عبدالكريم بن معيقل صاحب بلد القرائن، أبى القضاء وولي الإمارة في ناحية القصيم وسدير لسعود بن عبدالعزيز، وكان له معرفة في الفقه وغيره رحمه الله تعالى»[٢].

٣ - الشيخ إبراهيم بن سيف، ولد في ثادق بالمحمل في النصف الثاني من القرن الثاني عشر الهجري، درس على يد أخيه غنيم في ثادق وغيره من علماء المحمل، ثم انتقل إلى الدرعية وطلب العلم فيها، وتولى القضاء في بلدان عدة، كان قاضياً على سدير زمن إمارة الإمام عبدالله بن سعود وذلك في بلد جلاجل[٣]، فلازمه ابن بشر، وطلب العلم على يده، وانتفع بعلمه، ولما رجع من رأس الخيمة في زمن الإمام تركي بن عبدالله مؤسس الدولة السعودية الثانية، ولّاه القضاء عنده في الرياض واستمر في عهد ابنه الإمام فيصل بن تركي، وكان ابن بشر على علاقة وثيقة معه وكانت بينهم مراسلات ومع ابنه محمد، وأثنى عليه في تاريخه[٤].

٤ - الشيخ محمد بن علي بن سلوم الوهيبي التميمي، ولد في بلد العطار بسدير عام ١١٦١هـ ودرس على يد علماء سدير، ومن أجلهم الشيخ أحمد بن محمد

(١) ابن بشر، عنوان المجد١/٣٦٣.

(٢) ابن بشر، نفسه،١/٤٦٨.

(٣) ابن بشر، نفسه،١/٤٢٤.

(٤) ابن بشر، نفسه،١/٤٦٦.

التويجري، ثم انتقل إلى الأحساء فدرس على يد الشيخ محمد بن عبدالله بن فيروز والشيخ عبدالرحمن بن أحمد الزواوي وغيرهم من علماء الأحساء ثم انتقل إلى البصرة مع شيخه ابن فيروز، برع في علم الفلك والحساب وتميز من غيره من علماء نجد في وقته في هذا الفن، توفي عام ١٢٤٦هـ في سوق الشيوخ بالعراق[١]، ونقل عنه ابن بشر في تاريخه المفقود الذي عده من مصادر كتابه (عنوان المجد في تاريخ نجد)، وأشار إلى ذلك في مقدمته[٢]، وفي كتابه (الإشارة إلى معرفة منازل السبعة السيارة) نقلاً عن شيخه عبدالرحمن الزواوي، ونقلاً عن الشيخ محمد بن سلوم وابنه عبدالرزاق، وتشير مراسلات الشيخ ابن بشر إلى وجود علاقه له مع الشيخ محمد وابنه عبدالرزاق[٣]، وخصوصاً أنه من شيوخ شيخه عثمان بن منصور أقرب العلماء إليه، على أنه لا يوجد لدينا مصدر يدل على انتقاله إلى الزبير أو البصرة، وإضافة إلى ما ذكرنا فهناك قرائن قد نستدل بها على سبب انتقاله منها أنه انتقل بسبب سوء الأوضاع في نجد عامة وجلاجل خاصة، أو بسبب المجاعات والأوبئة، أو بسبب الفتن التي وقعت فيها من التنافس على الإمارة، وحروبها مع بلدتي: التويم والروضة المجاورة لها التي تطرق إليها ابن بشر في تاريخه، بعد سقوط الدولة السعودية الأولى في نهاية عام ١٢٣٣هـ، وهذا ما يؤدي إلى الهجرة، إذ إن الزبير من الأماكن التي أغلب سكانها من منطقة سدير، إضافة إلى وجود أخيه عبدالعزيز (ت ١٢٤٨هـ) وابن عمه أحمد بن محمد بن بشر فيها، الذين انتقلوا إلى الزبير والبصرة وتوفوا فيها، وكان الشيخ

---

(١) ابن بسام، علماء نجد،٣٠٢/٦.

(٢) ابن بشر، عنوان المجد،٢٩/١.

(٣) وثائق أسرته آل عبيد بجلاجل: انظر ملحق الوثائق.

محمد بن سلوم من أشهر العلماء النجديين الذين تشد إليهم الرحال من نجد لطلب العلم على يده في الزبير، وتميز ابن سلوم في علم الفلك والحساب، وله مؤلفات فيهما، ولعل نبوغ ابن بشر في الفلك والحساب - وهو ما تؤكده مؤلفاته فيهما - يبين بجلاء دراسته هذا العلم على يد ابن سلوم والإفادة من مؤلفاته؛ لأنه كان معاصراً للشيخ ابن سلوم الذي توفي في عام ١٢٤٦هـ[(١)].

٥ - الشيخ عثمان بن عبدالعزيز بن منصور الناصري التميمي، ولد في بلد الفرعة بالوشم في أول القرن الثالث عشر الهجري، درس وقرأ على يد الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله الحصيّن وغيره من علماء الوشم، ثم طلب العلم في سدير، ثم رحل لطلب العلم في العراق، ومن أشهر مشايخه ممن درس عليهم الشيخ محمد بن سلوم، الذي أجازه في عام ١٢٤١هـ، والشيخ داود بن جرجيس[(٢)]، وغيره من العلماء في البصرة والزبير، تولى القضاء في بلدان عدة في سدير، فكان قاضياً في بلد جلاجل زمن الإمام تركي بن عبدالله، ودرس على يده الشيخ عثمان بن بشر وأصبح من أشهر مشايخه وأقواهم صلة به، وانتفع بعلمه ولازمه، وهو كثير الإشادة به[(٣)].

وفي زمن ابنه الإمام فيصل بن تركي تولى القضاء في منطقة سدير في بلد جلاجل ثم في بلد المجمعة حتى عام ١٢٥٥هـ، إذ انتقل إلى بلد حوطة سدير، وفيما بعد عيّنه الإمام فيصل بن تركي قاضياً على حائل في حدود سنة ١٢٦٥هـ تقريباً، وجلس سنين عدة، ثم رجع إلى بلدة الحوطة بسدير، بسبب خلافه لأمير

---

(١) الشيخ عثمان بن بشر لم يكتب سيرة عن نفسه ومن هم شيوخه، في أثناء طلبه العلم، سوى ما تطرق إليه في تاريخه، وهذا الأمر موجود للأسف بين علماء نجد، واطلعت في بعض الوثائق في بلد جلاجل على علاقة بين الشيخ عثمان بن بشر والشيخ عبدالرحمن بن محمد بن عبيد وهو من أقرب الناس إليه في بلده جلاجل مع الشيخ محمد بن سلوم وابنه عبدالرزاق.

(٢) ابن بسام، نفسه، ٥/٩٠.

(٣) ابن بشر، عنوان المجد، ٤٦٦/١.

حائل في حينه طلال بن عبدالله بن رشيد، وبقي في بلدته الحوطة، وتوفي فيها عام ١٢٨٢هـ[١].

علاقته بالأئمة والعلماء والأعيان:

تميز الشيخ عثمان بن بشر بمكانة علمية، وأخلاق حميدة، وعرف بحرصه على خدمة مجتمعه بما يفيدهم وينفعهم، وهذا جعله يحظى بمكانة مرموقة في المجتمع، فأصبح محل ثقة لدى الناس، ومرجعاً لهم[٢]، والمطّلع على مؤلفاته ومراسلاته، يتبين له مدى المكانة التي تمتع بها ابن بشر مع الأئمة آل سعود والأمراء والعلماء والأعيان وبقية المجتمع، ومن أشهر من توثقت علاقته بهم:

١ - الإمام فيصل بن تركي بن عبدالله آل سعود، إذ يتضح من تاريخ ابن بشر ومراسلاته مع الإمام فيصل، خصوصاً في المدة الثانية من حكمه (١٢٥٩-١٢٨٢هـ) قوة هذه العلاقة، وتقدير الإمام له عندما يزوره الإمام فيصل من ضمن أهالي سدير، فيصف الشيخ عثمان بن بشر مجالس الإمام فيصل بن تركي وما يقام فيها من دروس علمية سواء في الرياض عاصمة حكمه أو في غزواته، ومن ذلك قوله في حوادث سنة ١٢٦٢هـ بتاريخه: «ولما وصل إلى مجزل[٣] كما ذكرت ركبت إليه وسلمت عليه، وأكرمني أحسن الله إليه، فحضرت مجتمعهم للدرس بعد صلاة العصر في صيوان الإمام، وكانوا

(١) ابن عيسى، إبراهيم بن صالح، تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ١٤١٩هـ، ص١٢٨.

(٢) ابن بشر، كتاب الإشارة إلى معرفة منازل السبعة السيارة، تحقيق د. محمد بن سعد المقري، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ١٤٣٦هـ، مقدمة المحقق، ص٣٥.

(٣) مجزل: جبل مشهور في (اليمامة) معروف لدى أهلها، خصوصاً بمناطقها الشمالية (سدير)، يبلغ طوله من الشمال إلى الجنوب نحو مئتي كم، ومنطقة مجزل قديماً من ديار بني تميم. ينظر: ابن خميس، معجم اليمامة، ط٢، ج٢، ص ص٣٣٢-٣٣٣.

يجتمعون كل يوم»[1]، ومن ذلك ما ذكره في حوادث سنة ١٢٦٥هـ إذ قال: «وكان الإمام فيصل أعزه الله ونصره قد أمر على أهل البلدان من رعيته بالغزو معه فتجهز غازياً بالمسلمين وخرج من الرياض يوم الخميس لثلاث بقين من ربيع الثاني، وركب معه أولاده عبدالله ومحمد، ولحقه ابنه سعود بغزو أهل الخرج وركب معه أخوه جلوي وخواص عشيرته، وركب معه الشيخ العالم عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب إماماً له وقاضياً، وركب معه أيضاً الشيخ القاضي عبدالله بن جبر إماماً لابنه عبدالله واستخلف أخاه عبدالله أميراً في الرياض وأمره ألا يخرج من القصر، وأمر على الشيخ عبدالعزيز بن عيبان أن يكون عنده إماماً مذكِّراً، وكان ذا معرفة في التفسير والتذكير، فسار الإمام فيصل أعزه الله تعالى بمن معه من المسلمين ونزل ببان المعروف، ثم رحل منه ونزل الحسي القصر المعروف، فأقام عليه أياماً واجتمع عليه باقي غزوانه ووصلت إليه أخبار أهل القصيم وتحالفهم على حربه ونقضهم لعهده. فلما استقر عنده ذلك رحل من الحسي ونزل أرض سدير. ثم رحل ونزل قرب بلد المجمعة، فركبتُ إليه للسلام عليه فكان وصولي إلى مخيمه قبل صلاة العصر، فصليت معهم، وإذا بالمسلمين مجتمعين للدرس في الصيوان الكبير، وإذا هو جالس فيه والمسلمون يمينه وشماله ومن خلفه وبين يديه والشيخ عبداللطيف إلى جنبه، فأمر القارئ عليه بالقراءة فقرأ عليه في كتاب التوحيد تأليف الشيخ محمد بن عبدالوهاب قدس الله روحه فقرأ آية وحديثاً، فتكلم بكلام جزل وقول صائب عدل بأوضح إشارة وأحسن عبارة، فتعجبت من فصاحته

(١) ابن بشر، عنوان المجد،٢/٢٣٥.

وتحقيقه وتبيينه وتدقيقه، اللهم متعنا به وبولده وأحيِ قلوب المسلمين بصيب علومه وفوائده، ثم سلّمت على الإمام فقابلني بالتوقير والإكرام ورحب بي أبلغ ترحيب وقربني أحسن تقريب. فجزاه الله عنا وعن المسلمين أحسن الجزاء، وسامحه وغفر له يوم الجزاء. فقمنا جميعاً ودخلنا مع الإمام في خيمته وجلسنا عنده، فابتدأ الشيخ عبدالله يقرأ على الإمام في كتاب (سراج الملوك) والشيخ عبداللطيف يسمع، ولكن الإمام هو الذي يتكلم على القراءة ويحقق المعنى فاستمر ذلك المجلس إلى أول الليل، ثم دخل البلد ومعه أكثر من ثلاثمئة رجل من خدمه ورجاله ومعه المشايخ، فسلم على الشيخ عبدالعزيز بن عثمان بن عبدالجبار وكان غداه عند الأمير محمد بن أحمد السديري، ودخل ابنه عبدالله بلد حرمة ومعه عدد من خدمه ورجاله، فكان غداه فيها عند محمد بن عبدالله بن جلاجل»[١].

وقد كان الإمام فيصل على علم بتأليفه في تاريخ نجد من كتابه (عنوان المجد في تاريخ نجد)، فدعمه بما يحتاج إليه فخصص له قاعدة[٢] تصرف له كل سنة، وزوده بالقرطاس الذي كان قليلاً في نجد، فكان يُشترى وقت الحج[٣]، وغيره من الأدوات التي تساعده على إنجاز هذا التاريخ، واستمرت علاقته بالإمام فيصل إلى وفاته عام ١٢٨٢هـ.

٢ - الشيخ: علي بن ونيّان: هو علي بن محمد بن ونيّان الحربي، ولد في بلد عشيرة

---

(١) ابن بشر، عنوان المجد،٢/٢٥٥ - ٢٥٧.

(٢) رسالة من الإمام فيصل بن تركي إلى المؤرخ عثمان بن بشر في عام ١٢٦٨هـ، قسم المخطوطات، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض.

(٣) كان القرطاس الذي تكتب عليه الوثائق والمخطوطات في نجد قليلاً؛ لأنه صنع خارج الجزيرة العربية وخصوصاً في العراق ومصر والهند ويجلب منها، فكان يشترى في موسم الحج، عند قدوم الحجاج من تلك الجهات به إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة.

القريبة من الطائف، له اهتمام بالتاريخ والأدب، امتاز بالصدق وحسن الخلق، وحب الخير والإحسان إلى الناس، وبخاصة أهل العلم والفضل[١]، وهذا أهله لينال رضا الإمام فيصل بن تركي، فأصبح كاتباً عنده، أشار إليه ابن بشر في مقدمة كتابه (الإشارة إلى معرفة منازل السبعة السيّارة) فقال: «فيقول الفقير إلى مولاه عثمان بن عبدالله بن بشر النجدي، غفر الله ذنوبه، وستر في الدارين عيوبه: إنه قد سألني من طاعته علي واجبة، وأذيال إحسانه علي ساحبة، الصادق في أقواله، الحسنة أخلاقه وأفعاله وأعماله، كاتب الإمام فيصل بن تركي، متع الله به، علي بن محمد بن ونيّان، أحسن من رأيت خلقاً وسمتاً في هذا الزمان، أن أضع إشارة في معرفة منازل القمر»[٢]. وتملك ابن ونيان عدداً من مؤلفات ابن بشر منها نسخة من كتابه (عنوان المجد في تاريخ نجد) المحفوظة في لندن، ووصف ابن بشر له بهذه الصفات الحسنة تدل على العلاقة الطيبة بينهما، وتقدير ابن ونيان لأهل العلم، وتقريبهم له، ومنهم الشيخ ابن بشر، وقد انتقل ابن ونيان بعد وفاة الإمام فيصل بن تركي عام ١٢٨٢هـ إلى الكويت، واستقر فيها حتى وفاته عام ١٣١٣هـ تقريباً[٣].

٣ - الشيخ عثمان بن عبدالعزيز بن منصور: هو الشيخ عثمان بن عبدالعزيز بن منصور بن حمد الناصري العمري التميمي، ولد في بلد الفرعة بالوشم مقر عشيرته آل حسين النواصر في مطلع القرن الثالث عشر الهجري[٤]، نشأ وتعلم فيها ودرس على يد علماء الوشم، ومن أشهرهم الشيخ عبدالعزيز

(١) ابن بشر، الإشارة إلى معرفة منازل السبعة السيارة، ص ٨٠ - ٨١.

(٢) حسب ما جاء في مقدمة المخطوطة، وسبب تأليف الشيخ عثمان بن بشر هذا الكتاب في الفلك، المحفوظة بدارة الملك عبدالعزيز، الرياض، رقم (١)، مجموعة الحميدان.

(٣) ابن بشر، الإشارة إلى معرفة منازل السبعة السيارة، (مقدمة المحقق)، ص ٨٠.

(٤) البسام، علماء نجد ٥/٩٠.

ابن عبدالله الحصيّن، وأشار ابن بشر في تاريخه إلى ذلك لما تطرق إلى وفاة الشيخ عبدالعزيز الحصيّن في حوادث عام ١٢٣٧هـ وذكر طلابه، فعده منهم، يقول: «وأخذ عنه أيضاً الشيخ النبيه والعالم العلامة الفقيه الذي حوى فنون العلوم وكشف إليها الستور وتلألأ بمعاني بيانه الطروس والسطور شيخنا عثمان بن عبدالعزيز بن منصور»[١]. ثم انتقل إلى سدير وطلب العلم فيها، وبعد ذلك رحل لطلب العلم في العراق، فدرس على يد الشيخ محمد بن سلوم، وأجازه عام ١٢٤١هـ ودرس على يد داود بن جرجيس وغيره من علماء البصرة والزبير، ثم رجع إلى نجد، وتولى القضاء في جلاجل بسدير زمن الإمام تركي بن عبدالله مؤسس الدولة السعودية الثانية، وفي عام ١٢٥٠هـ، ولما تولى الإمام فيصل بن تركي الحكم ولاّه القضاء على بلدان سدير ومقره في جلاجل ثم انتقل منها إلى المجمعة إلى عام ١٢٥٥هـ ثم انتقل إلى حوطة سدير[٢]، واستقر فيها بعد رحيل الإمام فيصل بن تركي مع خرشد باشا وسافر إلى مصر وجلس عند حاكمها محمد علي باشا، وبعد رجوع الإمام فيصل إلى نجد، وتوليه حكمها، أرسله قاضياً على حائل وجلس فيها سنين عدة حتى عام ١٢٦٩هـ تقريباً، وحصل خلاف بينه وبين أمير حائل طلال ابن رشيد، وهذا أدى إلى رجوعه إلى سدير، والاستقرار في بلد حوطة سدير وتوفي فيها عام ١٢٨٢هـ، وكثيراً ما أشاد به ابن بشر، وهو من خواص طلابه، ونقل عنه في تاريخه وغيرها من مؤلفاته عدداً من المعلومات في حوادث السنين، وهذا يدل على أواصر العلاقة الوثيقة بينهم، إذ طلب العلم على

(١) ابن بشر، عنوان المجد، ٢/٤٦٦.

(٢) حسب ما أشار إلى ذلك الشيخ عثمان بن منصور في هوامش أحد كتبه التي نسخها.

يده ابن بشر لما تولى الشيخ عثمان بن منصور القضاء في جلاجل زمن الإمام تركي بن عبدالله، وزملاؤه كل من الشيخ عبدالعزيز بن حمد ابن عيبان، والشيخ محمد بن حمد بن نصرالله، والشيخ محمد بن حمد بن عمير، والشيخ إبراهيم بن محمد بن عنيق، وغيرهم من طلبة العلم في سدير وغيرها.

وبقي على علاقته بشيخه مظهراً له التقدير والإجلال، واحترامه لعلمه، واعترافاً بفضله عليه، ومن ذلك ما ذكره في مقدمة كتابه (مرشد الخصائص ومبدي النقائص في الثقلاء والحمقى وغير ذلك)، يقول: «فلما نظرت في الكتب والأدبيات والكلمات الحكميات عزمت على وضع ما طلب، وبذل الجهد فيما إليه رغب، فاستأذنت شيخنا العالم الفقيه الشيخ القاضي عثمان بن عبدالعزيز بن منصور الحسيني الناصري، متع الله بحياته، وأفاض علينا من بركاته أن أضع من تلك المصنفات نبذة»[1]. وهذا الأمر يدل على نبل أخلاق ابن بشر، وأن هذا الأدب سجية متأصلة فيه في معاملته مشايخه، ومنهم شيخه عثمان بن منصور.

٤ – الشيخ عبدالعزيز بن حمد بن عيبان: هو عبدالعزيز بن حمد بن عيبان آل عضيب الناصري العمري التميمي، ولد في بلد الداخلة بسدير في النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري، نشأ وتعلم على يد علماء سدير، ومن أشهرهم الشيخ عثمان بن منصور، وقرأ على الشيخ عبدالرحمن بن حسن في الرياض، اشتهر بكونه إماماً وواعظاً عند الإمام فيصل بن تركي في مغازيه، ومن ذلك ما ذكره ابن بشر في تاريخه في حوادث عام ١٢٦٥هـ

---

(١) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، مرشد الخصائص ومبدي النقائص في الثقلاء والحمقى وغير ذلك، تحقيق: د.حمد بن ناصر الدخيّل، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ١٤٣١هـ، ص ٣٨.

لما خرج الإمام فيصل بن تركي في مغزاه نحو القصيم فقال: «وأمر على الشيخ عبدالعزيز بن عيبان أن يكون عنده إماماً مذكراً، وكان ذا معرفة في التفسير والتذكير[(١)]».

وكان أيضاً إماماً لأهل سدير في عدد من المغازي مع الإمام فيصل بن تركي حسب ما أشار إليه ابن بشر في تاريخه في حوادث عام ١٢٦٢- ١٢٦٣هـ، وذكر معرفته في التفسير خصوصاً في تفسير الإمام المحدث ابن كثير، وكان مبلغاً واعظاً[(٢)]،كان على صلة وعلاقة مع ابن بشر منذ طلبهم للعلم معاً على يد الشيخ عثمان بن منصور، نسخ عدداً من مؤلفات ابن بشر؛ ولعل أشهرها تاريخه (عنوان المجد في تاريخ نجد[(٣)]، كذلك له مراسلات معه، وهو صاحب أول ترجمة لابن بشر في مقدمة تاريخه المشار إليه سابقاً، توفي في بلد التويم بسدير في عام ١٢٨٠هـ تقريباً[(٤)].

٥ - الشيخ عبدالرحمن بن محمد بن عبيد: هو عبدالرحمن بن محمد بن سليمان بن محمد بن عبدالرحمن بن عبيد، ولد في مطلع القرن الثالث عشر الهجري في بلد جلاجل بسدير، نشأ وتعلم فيها على يد الشيخ علي بن يحيى بن ساعد قاضي سدير (ت١٢٢٩هـ) وعلى يد عمه الشيخ عبدالله بن سليمان بن عبيد (ت١٢٤٢هـ)، وكان معه في طلب العلم منذ الصغر الشيخ عثمان بن بشر، فكان بينهم صحبة وصداقة منذ الصغر، امتدت إلى وفاته، وطلب العلم على

(١) ابن بشر، عنوان المجد، ٢/٢٥٦.

(٢) ابن بشر، نفسه،٢/ ٢٣٦.

(٣) المخطوطة (عنوان المجد في تاريخ نجد)، للشيخ عثمان بن بشر، التي نسخها عبدالعزيز بن عيبان، في المتحف البريطاني في لندن تحت رقم 771 - 5r.

(٤) الحزيمي، سعود بن عبدالله وآخرون، التويم بين الماضي والحاضر، دار عالم الكتب، الرياض، ط١، ١٤٢٨هـ، ص ١٦٨.

يد علماء سدير، ثم رحل إلى الزبير مرات كثيرة، ونهل العلم من علمائها، ومن أجلهم الشيخ أحمد بن محمد بن صعب الحنبلي الذي أجازه بعد أن درس على يده سنوات عدة عام ١٢٥٤هـ، ودرس على يد الشيخ محمد بن سلوم، والشيخ إبراهيم بن جديد، وغيرهم من علماء الزبير[١]، وكان ابن بشر خير رفيق له، ووقف معه في أصعب الأحوال، ومن ذلك ما حصل له من مشكلات في بلده جلاجل بسدير، فوقف معه وأخذ يرسل إلى الإمام فيصل بن تركي والعلماء يوضح براءته حتى انتهت، وأشار إلى ذلك ابن بشر في رسالته الموجهة إلى الشيخ علي بن حسين بن شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب، سنة ١٢٦٦هـ، مبيناً سيرته، وطلبه للعلم بين علماء أجلاء ومكانته بينهم، وهذه الرسالة تعد من التزكيات العلمية التي تضمنت معلومات قيمة، مثل: أسماء أمراء منهم الإمام عبدالله بن سعود أو الإمام عبدالله بن ثنيان أو الإمام فيصل بن تركي، أو العلماء منهم الشيخ سليمان بن عبدالله والشيخ عبدالرحمن بن حسن والشيخ عبدالله بن جميعان من علماء الزبير، والمرسل إليه الشيخ علي بن حسين، وتطرقت إلى أسماء أخرى كذلك. إضافة إلى الأماكن المختلفة التي ورد ذكرها مثل: حريملاء أو الزبير أو سدير أو الدرعية أو الرياض التي طلب العلم فيها الشيخ عبدالرحمن بن عبيد، ولأهميتها أنقلها[٢]: «بسم الله الرحمن الرحيم... بالله تعالى وأسأله بذاته وصفاته وأسمائه الحسنى وكلماته وأتوكل إليه بربوبيته ووحدانيته التي لا يستحقها إلا هو أن يتمم بالحياة الطيبة الرضية والغرف العالية المبنية الشيخ العالم الأوحد الإمام قاضي فرق أهل الإسلام وارث العلم كابراً عن كابر واتبع سنن آبائه الأكابر

(١) البسام، علماء نجد ٣/١٩٠-١٩١.

(٢) جرى نقلها هنا كما هي دون تصحيح لما فيها من ملحوظات وألفاظ عامية.

الذي يكشف عن معالم التنزيل وأبان أسرار الآيات البينات بما يبديه من التفريع والتفاصيل جامع أنواع العلوم الشرعية والآثار السلفية أبلغ العلماء المشرعين ومفيد الطالبين الحبر المكرم المحترم القاضي علي بن حسين ابن شيخ الإسلام ومغيث الأنام كان اللّه وليه وحسبه وبارك في عمره وكسبه وثبت به قواعد الدين وأيده بروح اليقين سلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته والموجب لإرسال الكتاب ورسم الخطاب إبلاغ المحب جزيل السلام والسؤال عن الأحوال لا زالت الأخبار عنكم سارة ونعم اللّه عليكم وافرة قارة والمحب كثير السؤال عنكم والدعاء لكم ونحمد إليك اللّه الذي لا إله إلا هو على ما أولانا من نعمة الإسلام ثبتنا اللّه وإياكم بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة آمين يا رب العالمين ويا أخي متعنا اللّه بحياتك وأسعدك في جميع حالاتك أنا يا محبكم ومملوك إحسانكم مغرم في محبتكم ومجبول على مودتكم ودعاني ذلك إلى رقم فضايلكم ومحاسنكم في الدفاتر ونشرها في البادي والحاضر؛ لأن بأصلكم جددت كلمة لا إله إلا اللّه وصدع بفمه وقلمه وجرد سيفه حتى وُحّد اللّه فأنقذ اللّه به من ظلمات الشرك فيام وسعد بسببه كثير من الأنام حتى وسع اللّه الإسلام واعتلى مناره وكثر أعوانه وأنصاره وسارت الضعينة في هذه الجزيرة من أي جهة لا تخشى أحداً إلا اللّه وانتشر الأمن والأمان بالجهاد في سبيل اللّه، فنسأل اللّه العظيم الذي جلت أسماؤه وأفعاله وعزت ذاته ونفذت كلماته وأقواله أن يرفع المنازل في أعلا الجنان وأن يتغمد بالرحمة والرضوان روح من قام ودعا إلى السنة والكتاب شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب وأن يبقي كلمة لا إله إلا اللّه والعلم النافع في عقبه العلماء الأعلام والسادات الكرام وأن يبقي الملك كلمة باقية في

صالح أنصاره الملوك الذين رفعوا راية الجهاد وعلى أهل الشرك والعناد فشهروا السيوف وجيشوا الجيوش وجروها عليهم أينما كانوا فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا، فأسال الله مالك الملك ومجري الفَلك والفُلك أن يبقيه في صالح عقبهم إلى يوم القيامة وأن يحلهم دار الكرامة آمين وغير ذلك يا شيخ ويا محبنا أخبر جنابك الشريف أن عبدالرحمن بن عبيد طالب علم في صغره مع ناصر بن جماز رحمه الله في حريملاء وتعّلم معه النحو والفقه والتجويد ثم سافر إلى الدرعية وأقاموا فيها مدة يقرون على سليمان بن عبدالله قدس الله روحه في متن المقنع والعربية والتجويد وهو الذي يعلّم ناصر قراءته واختاره الإمام عبدالله غفر الله له لتعليم أخيه خالد القرآن وأقام في الدرعية إلى أن رحلوا عنها أهلها وهدمت وأبوه محمد وجده غنام دعاه حق في حريملاء، وله معرفة في أصل الإسلام ومحبة لأهله من قديم، وسافر إلى الشمال مراراً في الاختلاف، فحاولوه على النزول عندهم، فأنف من ذلك لما صبغ في قلبه من محبة التوحيد وأهله، واختاره ابن أخيه لولاية ولده، وهو في الشمال وهو الذي اضطره إلى السفر إليه، فلما فك عنه عثمان بن منصور الحجر في سنة سبع وخمسين سافر عبدالرحمن للشمال وانقطع بينه وبين الولد على يد قاضي الزبير بن جميعان سنة ثمان وخمسين[1]، وظهر عبدالرحمن وَطَبَّ الرياض على عبدالله بن ثنيان، وسلم عليكم وأخذ منكم رخصة للسفر لباقي حاجاته، ولما واجهت الشيخ عبدالرحمن متع الله به مع فيصل في المغزا، ذكرت له أنا

(١) انظر الوثيقة في ملحق الوثائق بخط قاضي الزبير الشيخ عبدالله بن جميعان في غرة ذي القعدة من سنة ١٢٥٨هـ، ونقلها الشيخ عثمان بن بشر وعليها إمضاء الشيخ عثمان بن منصور. وثائق أسرته آل عبيد في بلد جلاجل، نسخة لدى الباحث.

وأخيك عبدالعزيز بن عيبان سيرته ومصرفه، وكتب إليه الشيخ، وألفا عليه في الرياض، وقرأ عنده ورده في مسجده على حاله، وكتب معه بذلك وجلس للتعليم، وقرأ عنده محمد بن خريف في كتاب التوحيد والفقه والفرايض، وكذلك إمام مسجدنا عبدالكريم بن زيد وابنه إبراهيم، ومرتب الدرس للعامة كل يوم أحياناً في كتاب التوحيد وأحياناً في الداء والدواء والتفسير، وهو رجل كثير الحيا والخوف من الله، ويوم يا شيخ أذكر ذلك لأني خابر أنها خفية عليك حاله ولا لك في معرفة، ... قائم عليه في طلابه في مال ها الولد ها السنة بعد ما لفا الحاج، أول هو والولد ويوم توفي الولد ها الأيام قام له والظاهر يا شيخ عندنا أنها.. شحنا لأنه منقطع الحساب بين عبدالرحمن والولد من ثمان سنين، ويحدر الولد ويظهر ما قد أطرا شيء قبل ها السنة والشحنا بين عثمان وعبدالرحمن قديمة وأحببت يا شيخ أني أبين لك حال عبدالرحمن لئلا يغرك عدوه، بما ليس فيه ولا يليق به ولا يدانيه وهو لازم وملزم علينا لما نعلم من حاله، وأنت أكرم من يوصف له أسأل الله الذي لا إله إلا هو الواحد الأحد أن يوفقنا وإياك لما يحب ويرضى وأن يمنحنا العافية والتقوى وأن يثبتنا وإياك على دينه القويم وصراطه المستقيم في الآخرة والأولى آمين وغير مأمور بلّغ سلامنا الابن المكرم حسين وإخوانه، والشيخ عبدالرحمن، والشيخ عبدالرحمن بن علي وآل الشيخ ومن لدينا الأولاد والإخوان يهدون جزيل السلام وأنت سالم والسلام المحب الداعي عثمان بن عبدالله بن بشر».

أفاد ابن بشر من مكتبة الشيخ ابن عبيد التي احتوت كتباً قيمة متنوعة في العلوم والفنون، وخصوصاً أن الشيخ عبدالرحمن بن عبيد من أسرة علمية في بلد جلاجل،

فوالده وأعمامه وأجداده من العلماء الذين يُشار إليهم بالعلم والفقه في بلد جلاجل، وذلك حسب عدد من المراسلات التي توضح ذلك بجلاء[1]، تولى إمامة جامع بلد جلاجل حتى وفاته عام ١٢٨١هـ، في مكة المكرمة بعد انقضاء الحج، بسبب وباء عظيم وقع فيها أيام الحج[2].

٦ - الشيخ محمد بن إبراهيم بن سيف: هو محمد بن إبراهيم بن سيف، ولد في بلد ثادق بالمحمل، نشأ وتعلم على يد والده الشيخ إبراهيم، وهو من بيت علم، فوالده عالم، وأعمامه الشيخ عبدالله والشيخ غنيم عالمان، وكلاهما تولى القضاء، ثم طلب العلم على يد الشيخ عبدالرحمن بن حسن، وأشار إلى ذلك ابن بشر في تاريخه فقال: «وكان الشيخ محمد بن سيف هذا المذكور له معرفة ودراية في العلم، قرأ في جملة من العلوم وأكثر قراءته وتحصيله على الشيخ القاضي عبدالرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وكان ابتداء طلبه وانتهاء تحصيله عليه في الفقه والنحو والتجويد، وغير ذلك من العلوم الشرعية، وقرأ على أبيه في التفسير والحديث، ثم سافر إلى مصر في حدود السنة الرابعة والخمسين ومئتين وألف، وقرأ فيما ذكر جملة من فنون العلوم والأكثر في المعاني والبيان والحساب، ثم ظهر منه واستعمله الإمام فيصل قاضياً في جبل شمر عند الأمير عبدالله بن رشيد، وتوفي فيه سنة خمس وستين رحمه الله تعالى وعفا عنه[3].

---

(١) تحتوي وثائق أسرته آل عبيد بجلاجل على كثير من المراسلات ووثائق عن فهارس الكتب وإعارتها وبيعها، انظر ملحق الوثائق.

(٢) ابن عيسى، إبراهيم بن صالح، عقد الدرر فيما وقع في نجد من الحوادث في آخر القرن الثالث عشر وأول الرابع عشر، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ١٤١٩هـ، ص٥٥.

(٣) ابن بشر، عنوان المجد ٢/ ١٠٩-١١٠.

زاملا الشيخ عثمان بن بشر في أثناء ما كان والده قاضياً على سدير، في عهد الإمام عبدالله بن سعود، فدرسا معاً على يده، واستمرت العلاقه الوثيقة بينهم، وكانت بينهم مراسلات منها ماذكره ابن بشر في تاريخه في أحداث قتل الإمام تركي بن عبدالله في نهاية عام ١٢٤٩هـ ثم تولى ابنه الإمام فيصل بعد القضاء على مشاري بن عبدالرحمن، فكان الشيخ محمد بن إبراهيم بن سيف شاهداً على ذلك، لوجوده في بلد الرياض حينها، فذكر ابن بشر رسالته ثم رده عليه في تاريخه[١]، أشاد به ابن بشر في مواضع عدة في تاريخه، واستمرت العلاقة بينهم وثيقة إلى وفاته في حائل عام ١٢٦٥هـ.

آثاره ومؤلفاته:

اشتهر الشيخ عثمان بن بشر بعلو الهمة وحب العلم وأهله وسعة الاطلاع، وهو ما مكّنه من التأليف في عدد من فنون العلوم، مثل: الفقه والأدب والخيل والفلك والحساب والتاريخ، ونسخ عشرات الكتب، وهو بذلك تميز من غيره من العلماء النجديين، وأصبحت له مكانة علمية واجتماعية في مجتمعه، ومن أبرز آثاره التي خلّفها لمجتمعه ووطنه، مؤلفاته الآتية:

١ - **عنوان المجد في تاريخ نجد**، وجعله في مجلدين، وهو من أشهر مؤلفاته على الإطلاق في التاريخ، فحظي كتابه باهتمام المؤرخين، واعتمدوا عليه، ونقلوا عنه، وأصبح من أهم مصادر التاريخ الوطني للدولة السعودية الأولى والثانية.

٢ - **سهيل في ذكر الخيل**، وهو في سبعة كراريس، ويعتقد أنه ألفه بطلب من الإمام فيصل بن تركي لما أرسل له طوسون بن محمد علي باشا حاكم مصر معلومات عن الخيل العربية الأصيلة.

---

(١) ابن بشر، عنوان المجد، ٢/ ١٠٤- ١٠٥- ١٠٦.

٣ - **الإشارة إلى معرفة منازل السبعة السيّارة**، وهو في أربعة كراريس، وألفه بطلب من كاتب الإمام فيصل بن تركي علي بن محمد بن ونيان.

٤ - **بغية الحاسب**، وهو في ورقة للحساب محتوية على الجدول.

٥ - **مرشد الخصائص ومبدي النقائص في الثقلاء والحمقى وغير ذلك**، وألفه بعد الاستئذان من شيخه عثمان بن منصور.

٦ - **فهرس طبقات الحنابلة للحافظ ابن رجب**، وجعل تراجمه على حروف المعجم[١].

٧ - **معرفة القراء السبعة والفقهاء السبعة والسيارات السبعة والأقاليم السبعة**، وهي نسخة كتبها عام ١٢٥٤هـ[٢]، وأشار إليها الشيخ إبراهيم بن محمد بن عبدالجبار بن عنيق إمام جامع بلد التويم بسدير في مقدمة النسخة التي نسخها لتاريخ ابن بشر[٣].

وله رسائل عدة ونبذ عجيبة، حسب ما ذكر ذلك الشيخ عبدالعزيز بن عيبان في مقدمة تاريخه الذي نسخه ابن عيبان عام ١٢٧٠هـ، إضافة إلى خدمته لأهل بلده جلاجل خصوصاً وسدير عموماً، لكتابة الرسائل والوصايا والمبايعات، وكل ما يخص مجتمعه.

حياته الاجتماعية وأوقافه:

عاش الشيخ ابن بشر أغلب حياته في بلدته ومسقط رأسه جلاجل بمنطقة سدير، منذ ولادته حتى وفاته، ولم تذكر المصادر التي اطلعنا عليها أنه انتقل منها إلى أماكن أخرى إلا رحلاته لطلب العلم؛ وهذا يدل على حبه لبلدته وأهلها وانتمائه

(١) ابن بشر، عنوان المجد، ٢١/١.

(٢) المخطوطة موجودة في مكتبة الشيخ سليمان بن صالح البسام.

(٣) هي نسخة كتبها الشيخ إبراهيم بن عنيق من تاريخ ابن بشر، موجودة في مكتبة الملك سلمان بجامعة الملك سعود، قسم المخطوطات، ولدى الباحث نسخه منها.

القوي إليها، وكان منزله بالقرب من مسجد عيسى بن عبيد في وسط البلدة، وهي دار كبيرة تدل على مكانة صاحبها ووجاهته إلا أن مما يؤسف له أن هذه الدار التي شهدت تأليف الشيخ لجل إنتاجه العلمي قد أهملت، فأثرت فيها عوامل التعرية، فتهدمت في الوقت الحاضر[(١)].

وتمتع الشيخ ابن بشر بمكانة بين أهالى بلدة جلاجل بسبب ما عرف عنه من حبه للخير، وتقديم ما يفيدهم وينفعهم، واستعرضنا سابقاً مدى وفائه وتقديره لمشايخه وأصدقائه، فقد كان قريباً من العلماء والقضاة الذين يعينون في بلده على جلاجل أو سدير عامة، وتبين المراسلات بينهم جانباً مهماً في ذلك، إذ أورد بعضها في مؤلفاته، وهذا الأمر أكسبه المحبة والثقة في مجتمعه، فنال رضا الإمام فيصل بن تركي وحاشيته، وعدد من العلماء والأعيان في سدير وغيرها من البلدان، وأصبح مرجعاً لهم في فنون العلوم المختلفة كما بينا ذلك.

وكانت أحواله الاقتصادية أكثر من جيدة إذ تملك في بلده عدداً من الأملاك والنخيل حسب ما اطلعنا عليه من الوثائق المحلية التي تخصه، ومما ورثه من إخوته نخيل (العويضية، البطيحاء، ركية موسى، القبلية، طويلعة العيدان)، وفيما بعد أصبح يملك عقارات في القطيف والزبير والبصرة مما خلّفه إخوته وأبناء عمومته ممن ورثهم حسب ما أشار إليه في وصيته، وأرسل ابنيه: ناصر وعبدالمحسن إلى الزبير والبصرة؛ لإدارتها، إضافة إلى ما كان يرسله له الإمام فيصل بن تركي من قاعدة سنوية.

(١) ابن بشر، الإشارة، ص ٣٤.

أوقافه:

أوقف الشيخ عثمان بن بشر في وصيته عدداً من الأوقاف الخاصة به أو والديه وأجداده التي نقلها من بلد العودة بسدير إلى بلد جلاجل مسقط رأسه إضافة إلى ما يخص أبناء عمومته ممن توكل عنهم، وهي:

- أوصى بنخيلات الزنيقيب في أسفل ملك العويضية وقف لبنت عمه لطيفة بنت محمد بن ناصر بن بشر يوقف على الشيخ عثمان وعلى ذريته من بعده للذكر والأنثى.
- أوصى بالخويا في أسفل بلد جلاجل، وخمس النخيلات بالبطيحاء والشمالية وقفاً لأبيه عبدالله ووالديه وهما: عثمان وخديجة.
- أوصى بملك ركية موسى وقفاً لأخيه عبدالعزيز وله وعلى ذريته من بعده.
- أوصى بالنخلة التي تلي الجادة في ملك القبلية وقفاً على حافظ القرآن من ذريته ممن نزل في بلد جلاجل.
- أوصى بنخلتين عند الوضيمة التي عند الباب وقفاً لحافظ القرآن من ذريته ممن نزل خارج بلد جلاجل.
- أوصى في طويلعة العيدان، بأضحية لبنت عمه لطيفة بنت محمد بن ناصر بن بشر.
- أوصى أيضاً في طويلعة العيدان بأضحيتين، له واحدة ولزوجته هيا واحدة.
- أوصى بمُدّ دهن لسراج مسجد عيسى بن عبيد، وخمس وزان على المشرب الطالعي للمسجد المذكور أيضاً.
- أوصى بالنخل الذي في القطيف وقفاً على نازل بيته في بلد جلاجل من أولاده ومن بعدهم ذريتهم، والوكيل عليه ابناه: محمد وعبدالمحسن.

- أوصى بالنخل التي في البصرة، والوكيل عليه أبناؤه: ناصر ومحمد وعبدالمحسن ينفذون وصاياه، والفاضل منه يرسلونه إلى نازل بيته في بلد جلاجل من أولاده، ونفقة على الضعفاء من ذريته في نجد.
- أوصى بثلاثين ريالاً في ثلاث حجج، له واحدة وثنتان لولديه: عبدالله وعبدالرحمن، وتوفيا في صغرهم.
- أوصى بما في بيته من قدور وصحون وغيره، وقفاً في بيته بجلاجل تحت يد ابنه محمد.

أسرته:

تشير الوثائق المحلية التي اطلعت عليها إلى أن للشيخ عثمان بن بشر ثلاثة من الإخوة هم: إبراهيم الذي عاش في بلد جلاجل مع أخيه الشيخ عثمان، وتوفي فيها قبل عام ١٢٤٨هـ، وله من الذرية بنت فقط وهي هيلة والدة أبناء محمد بن محارب بن سويّد[١]، وعبدالرحمن وقد انتقل إلى بلد الزبير جنوب العراق، واستقر فيها حتى وفاته، وخلف ابناً وهو بشر، وانقطع ذكره في بلد الزبير، وعبدالعزيز أيضاً الذي انتقل إلى بلد الزبير، وتملك فيها عقارات ونخيلاً، وتوفي وليس له ذرية في حدود عام ١٢٤٨هـ وورثه الشيخ عثمان[٢].

وله من أبناء العمومة في بلد جلاجل كل من: إبراهيم بن محمد بن ناصر بن بشر وأخوه أحمد وأخته لطيفة، وتوفي إبراهيم في بلد جلاجل وله ذرية في الزبير ومنهم ابنه عثمان، وأما أخوه أحمد فقد انتقل إلى بلد البصرة، وتملك عقارات ونخيلاً، وتوفي فيها وورثه الشيخ عثمان، وأما لطيفة فقد ولت الشيخ عثمان على

(١) ابن بشر، عنوان المجد، ٢/ ١٠٤- ١٠٥- ١٠٦.

(٢) انظر ملحق الوثائق.

شراء أملاك لها في بلد جلاجل، ولما توفيت ورثها مما خلفت من عقارات ونخيل في بلد القطيف، حسب ما أشار في وصيته الشيخ عثمان، وجعل لها وقفاً وهو (طويلعة العيدان) ببلد جلاجل.

وقد تزوج الشيخ عثمان بن بشر من أسرة العيسى من بني زيد من أهل بلد شقراء وهي (هيا بنت محمد بن عبدالرحمن بن عيسى)، وخلّف منها عدداً من الأولاد وهم: عبدالله وعبدالرحمن توفيا صغيرين، وأحمد وناصر ومحمد وعبدالمحسن. فأما ابنه أحمد فقد ولد في تاريخ ٦/١١/ ١٢٤٣هـ، نشأ وتعلم على يد والده الشيخ عثمان، ولما شب ذهب إلى الزبير من طريق القصيم قاصداً الزبير للحاق بأخويه: ناصر وعبدالمحسن، ولكن أمير التنومة بالأسياح طلب منه أن يكون إماماً لهم فوافق على ذلك، ثم انتقل إلى عين ابن فهيد، وصار معلماً وإماماً وخطيباً للمسجد الجامع حتى توفي عام ١٣٤٠هـ، وله ابنان هما: عبدالله والشيخ عثمان وبنتان، وقد خلفوا ذرية من الأولاد والأحفاد[1].

أما ناصر فقد ولد في ٦/١٢/ ١٢٤٣هـ، نشأ وتعلم على يد والده، ولما توفي ابن عم والده في البصرة وورثه أرسله والده مع أخيه عبدالمحسن لإدارة الأملاك التي ورثها ورعايتها، وسكنا في الزبير وصارا من جملة سكانها، وبقيا فيها حتى توفي في ١٣/٤/١٣١٣هـ، وله ذرية فيها، وقد خلفا عدداً من الأولاد والأحفاد في المملكة العربية السعودية.

أما محمد فقد ولد في شهر شعبان من عام ١٢٤٧هـ، ونشأ وتعلم على يد والده الشيخ عثمان وعلى يد الشيخ عبدالرحمن بن محمد بن عبيد، وهو من الكتاب المشهورين ببلد جلاجل، إذ ترد له كثير من الوثائق والمراسلات فيها، واستقر

(١) رسالة من الشيخ محمد بن الشيخ عثمان بن بشر إلى الشيخ أحمد بن عبدالعزيز بن سلمان، وثائق أسرته آل سلمان بجلاجل.

مع والده ولازمه إلى وفاته ببلد جلاجل، وكثيراً ما أثنى عليه والده، فقد كان باراً بوالديه وخصوصاً في سنين الشدة والمجاعة التي حلت في سدير عامة، وجلاجل خاصة، وتطرق إلى ذكرها المؤرخون النجديون ومنها أعوام ١٢٨٧هـ، ١٢٨٩هـ وما بعدها[١]، وقد أثنى الشيخ عثمان عليه في وصيته، وهو الوحيد من ذرية الشيخ عثمان الذي استقر في جلاجل إلى وفاته فيها عام ١٣٣٠هـ. وله ذرية منهم ولد واحد اسمه عبدالله، الذي خلّف ولداً واحداً وهو عبدالعزيز الذي توفي في الكويت وخلّف عدداً من الأولاد والأحفاد في دولة الكويت الشقيقة.

أما عبدالمحسن فقد ولد في ١٢٥٨/٩/١١هـ نشأ وتعلم على يد والده، وانتقل مع أخيه ناصر إلى البصرة كما ذكرنا سابقاً، واستقر في الزبير، وتوفي فيها عام ١٣٢٥هـ، وقد خلّف ذرية منهم ابنان هما عثمان ويوسف اللذان خلفا ذرية من الأولاد والحفدة في المملكة العربية السعودية والكويت، وأما ناصر فله ثلاثة أبناء هم: عبداللطيف وإبراهيم وعبدالرزاق، وقد خلفوا ذرية من الأولاد والحفدة في المملكة العربية السعودية.

وفاته:

توفي الشيخ عثمان بن بشر في بلدته جلاجل - رحمه الله وأسكنه فسيح جناته - في التاسع عشر من جمادى الآخرة عام ١٢٩٠هـ، الذي يوافق الثالث عشر من أغسطس ١٨٧٣م، أي: إنه عاش ثمانين عاماً، قضاها في طلب العلم والتأليف، خصوصاً في تاريخ الوطن، كان علماً بارزاً من أعلام قبيلته بني زيد، بل إن

(١) لزيادة الاطلاع انظر: ابن عيسى، تاريخ بعض الحوادث، ص ص ١٣١-١٣٢.

عبدالعزيز بن حمد بن عيبان أحد معاصريه والمقربين منه ذكر في مخطوطة (عنوان المجد في تاريخ نجد) التي نسخها أن الشيخ ابن بشر يعد من رؤساء قبيلة بني زيد[1].

(١) ابن عيسى،عقد الدرر، ص ٨٩.



الوثائق:



بسم الله الرحمن الرحيم

من حمد بن عتيق [illegible]

عثمان بن عيسى حفظه الله تعالى من

وموجبه [illegible]

الشيخ قدس الله روحه قد قال لي [illegible] تعرف من عبد الرحمن بن

عبيد كتابا فيه مسائل لابن تيمية [illegible]

من رمضان وتنسخ عنها ولا هو [illegible]

كراريس او دون ونسخة [illegible] المطاع محبوكة [illegible]

لحالها فيه ست كراريس ومجموع [illegible] مسائل ابن تيمية

نقل من مفتاح دار السعادة في الكشوف لابن القيم [illegible]

وذكر لي احد اني اذكر لكم هذا [illegible] عندكم [illegible]

العيال [illegible] وكاتبه محمد [illegible] عليكم [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

يعلم من يراه بان هيلة بنت ابراهيم بن عبدالله بن بشر لما ماتت
ورجع وقف ابيها المسما مزرعة بلال بن بشر كما ذكر في مخلاص [illegible]
عبد الجبار طلب ابنها ابراهيم بن محارب من محمد بن بشر انه يمنحه
غلة الوقف لاجل ان بنت عمها لابيه بشر زوجة ابراهيم بن
محارب فاجابه محمد ومنحه اياه للموجب المذكور شهد على ذلك عبدالله
بن سويد وسليمان بن عبد الهادي وشهد به وكتبه احمد بن
عبد الرحمن بن عبيد حرر في رجب سنة ١٢٩٢ واشترط محمد على ابراهيم
تنفيذ نصف الغلة للفقرا والمساكين شهد به من ذكرنا وكتبه كاتبه

سبل محمد بن عثمان بن بشر الذي حبز با
ع قبل محمد البطحا ديم والذي في قيد العبد
يسمى الشريقي فيه [illegible] اربع اضاحي
لمحمد وحده ولزوجته لولوه وحده ولابنه عبد الله
وحده ولبنته سبيكه وحده والذي في قيد العبد
بالمغارسه وفيه خضرية في جنوبيه تخص الاصل
ضحيا ع محمد وزوجته [illegible]

والذي للا عبد اللطيف في البطحا وبه مشاع
مع الشركا لام الماجد ربع ولمحمد ربع وللا
عبد اللطيف ثلث ولمحمد السليمان سدس ولسليمان
بالدايل سدس وللا عبد اللطيف العويد بعه كامله
والحويط تبعه وشقيص في الكبار ما يجي منه
شي

وللشيخ عثمان بن بشر داخل العيدان لمر ولزوجته
في ضحيه من القلب الى الاطع بلبعه
والطع بلبعه في العيدان ضحية للطيفه بنت
محمد بن بشر
وفي [illegible] البطحا في الشماليه الحوش وصط [illegible]
عبد الله في ثلاث ضحايا وحده لعبد الله ابو
الشيخ وثنتين للوالدين وباقي الذي في البطحا
لورثة الشيخ عثمان ربع لورثة احمد
وورثة ناصر و ثلث لورثة محمد وورثة
عبد المحسن وثلث للبنات اربع هيله ونوره
وموضي ومنيره [illegible]

[illegible]

المملكة العربية السعودية - وزارة المعارف

الخطاب الصادر		مسودات	الخطاب الوارد	
عدده			عدده	
تاريخه			تاريخه	
مشفوعاته			قيده	

اولاد احمد بن عثمان بن عبدالله البشر

١ - عثمان بن احمد بن بشر وقد توفي وخلف
اربعة اولاد وبنتا وكلهم احياء

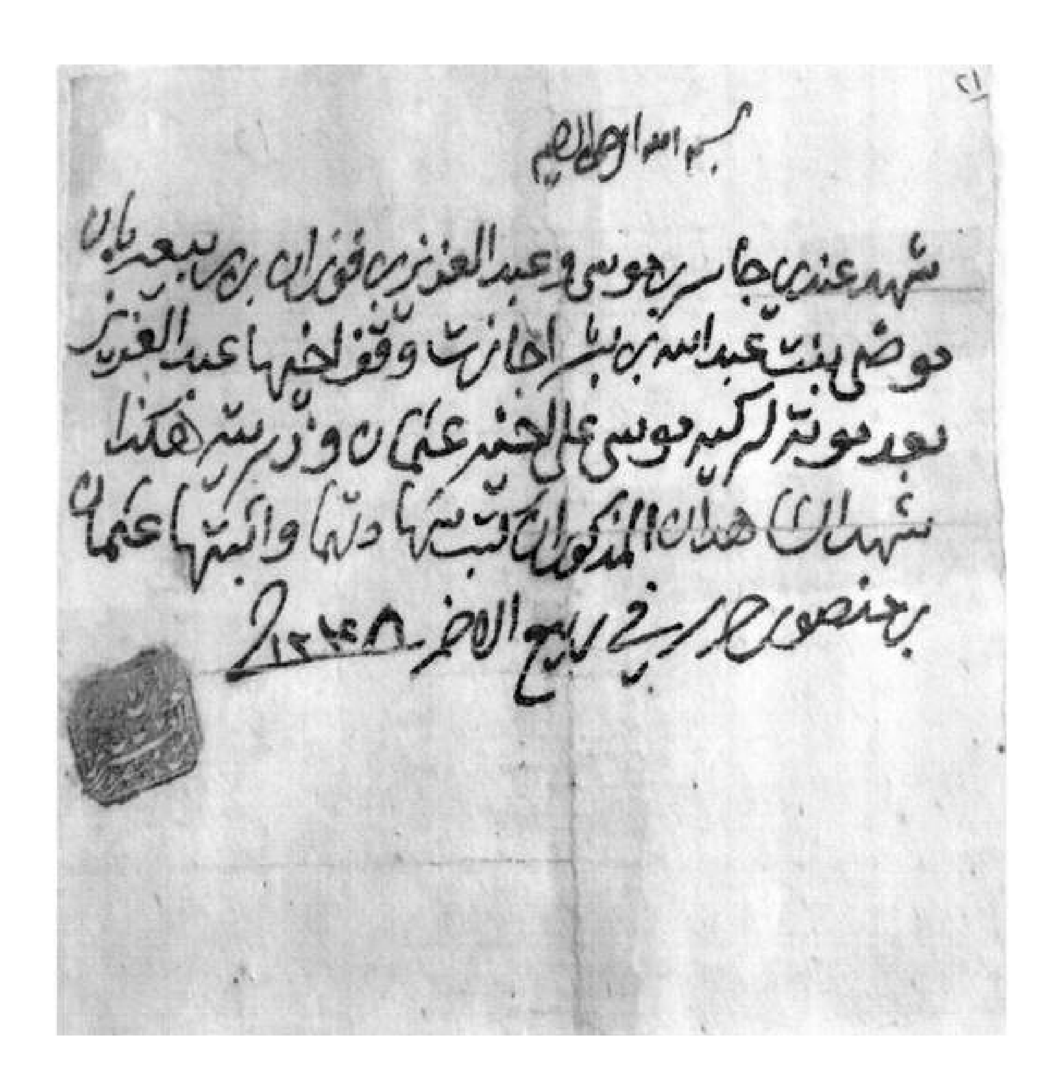
٢ - عبدالله بن احمد بن بشر وقد توفي وخلف
ولدين وبنتين احياء وبنت ميتة لها ولد حي

٣ - منيرة بنت احمد وهي حية ولها ولدان

٤ - مزنه بنت احمد وهي متوفيه وقد خلفت
ولدا وبنتا احياء

بسم الله الرحمن الرحيم

يعلم من يراه بانه قد حضر لدى عثمان بن عبد الله
بن بشر ومحمد بن [illegible] في وصية ابراهيم
بن عبد الله بن بشر التي اوصى ان يشترى بثلث ماله
نخل يوقف ونصف غلته بين ابنته هيلة وبين الفقرا
والمساكين نصف لهيلة مدة حياتها ثم بعد موتها يرجع
على آل بشر ونصف للفقرا والمساكين وقد اشترى الو
كيل ابراهيم بن محمد بن بشر العقار المسمى برزة في
بلد [illegible] من عثمان بن عبد الله [illegible]
فطلب عثمان بن عبد الله بن بشر ان يتولى نصف الفقرا
والمساكين لكون الموصي قد جعل الوكالة بعده
[illegible] ابراهيم بن محمد وادعى [illegible] ان الوكالة [illegible]
[illegible] على عثمان بانه [illegible]
[illegible] المذكورة على صرف الغلة على مصار
[illegible] عثمان فله الرجوع عن وكالته لها ويتولاها
[illegible] شرط الواقف فقبل عثمان ما ذكر له
[illegible] على هذا الشرط فرضي الكل بذلك وحضر
على ذلك جماعة من المسلمين منهم عبد الرحمن [illegible]
والامير محمد السديري ومحمد بن عثمان [illegible]
والزم بموجبه راجي عفو ربه الغفار عبد العزيز
بن عثمان بن عبد الجابر وصلى الله على محمد واله
وسلم [illegible] ١٦ ذي الحجة ١٢٧٠



بسم الله الرحمن الرحيم

شهد عندي جاسر بن موسى وعبد العزيز بن فوزان بن [illegible] بأن
موضي بنت عبد الله بن [illegible] أجازت وقف أخيها عبد العزيز
بعد موته [illegible] موسى على الخير [illegible] وذريته هكذا
شهدا لي هذان المذكوران كتبه شاهدا بهما وأثبتها عثمان
بن منصور حرر في ربيع الآخر ١٢٤٨

٩/٢٥

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وارث الارض ومن عليها الحمد لله على كل حال [illegible] من حال اهل النار

واستعين الله على الموت وما بعد الموت اقول انا [illegible] كاتبه هذه الوصية [illegible]

[illegible] اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله وان

عيسى رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه وان الجنة حق وان

النار حق وان الساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور واو

صى اهلي وولدي ان يتقوا الله ويصلحوا ذات بينهم واوصي بان نخيلات

العلاوه الذي شريت من [illegible] سليمان [illegible] البطحا [illegible] الاثل الذي فيها ونخيلا

[illegible] العبيد [illegible] في اربع اضاحي لي واحده وثلاث [illegible] ولدي واحده [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] المغفره [illegible] اللذي [illegible] العبيد [illegible] تبع للسبل [illegible]

من السبل [illegible] الضحايا على [illegible] الصلب والوكيل على ذلك [illegible]

[illegible] حتى يرشد [illegible] العزيز [illegible] عبدالله [illegible]

[illegible] موسى [illegible] الثمانين [illegible] الثلاثين [illegible]

[illegible] في [illegible]

ان [illegible] الورث [illegible] بينهم [illegible] ولده فلا باس [illegible]

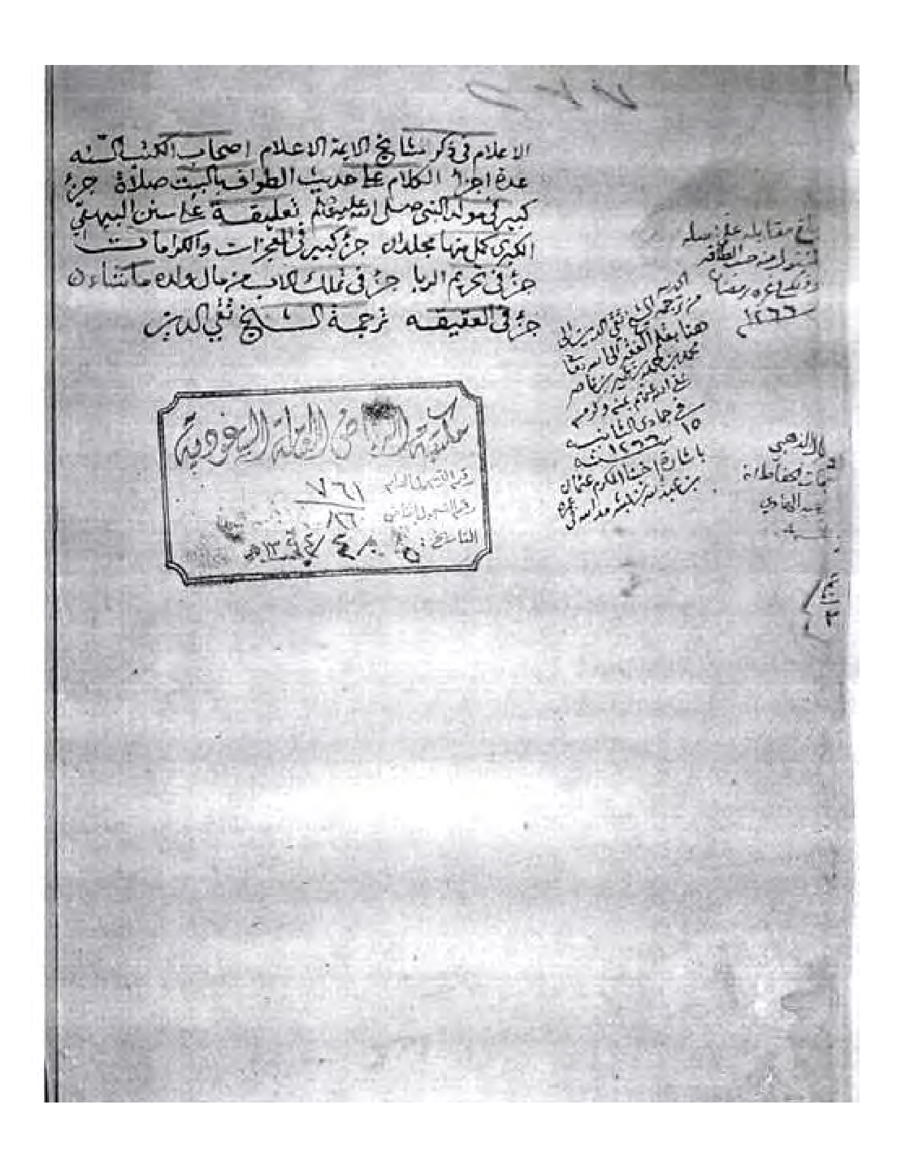
من [illegible] ومن طرف [illegible] البيت [illegible]

ما [illegible] سبل [illegible] الوكيل [illegible] الحسن [illegible]

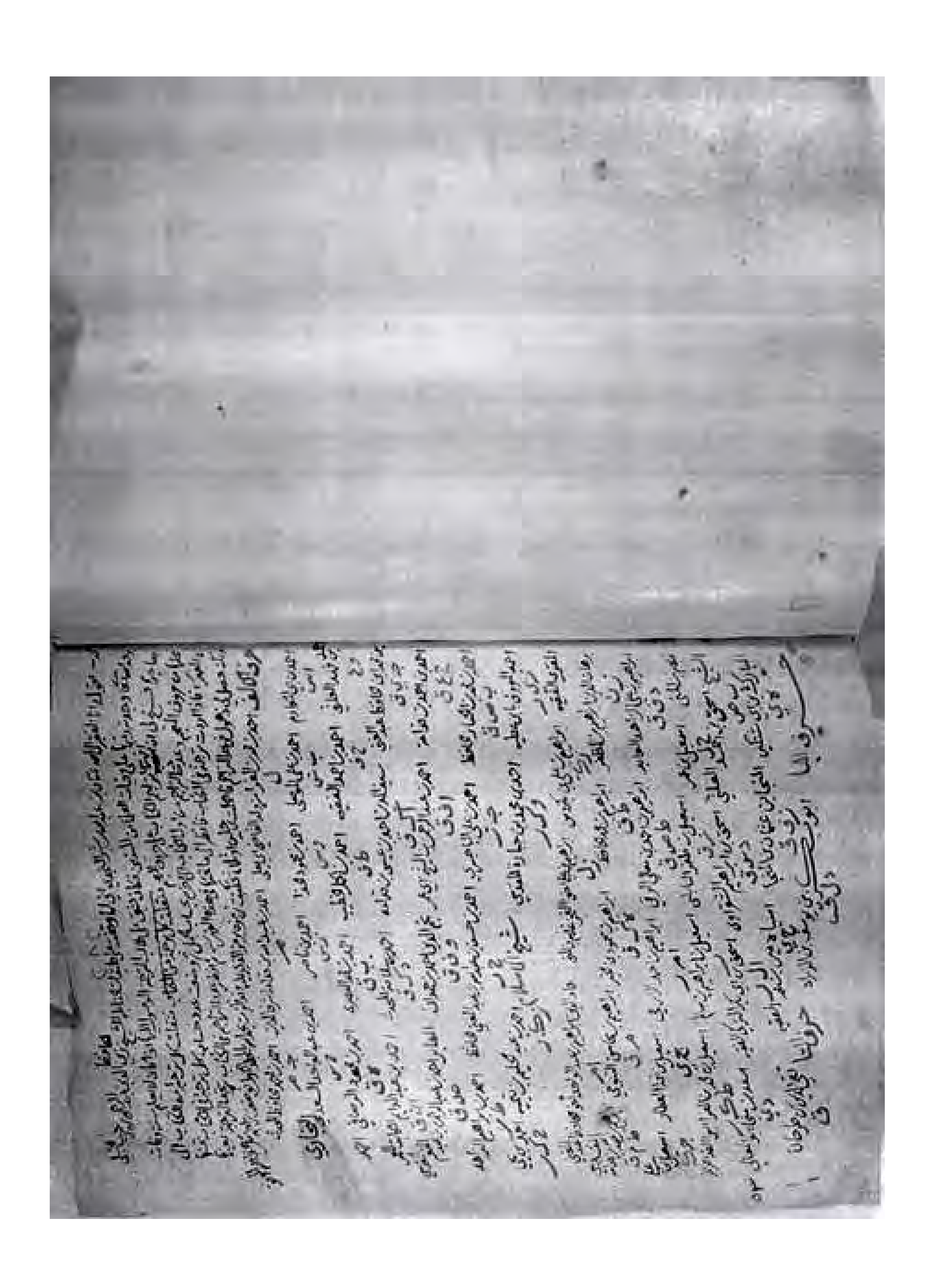
[illegible]

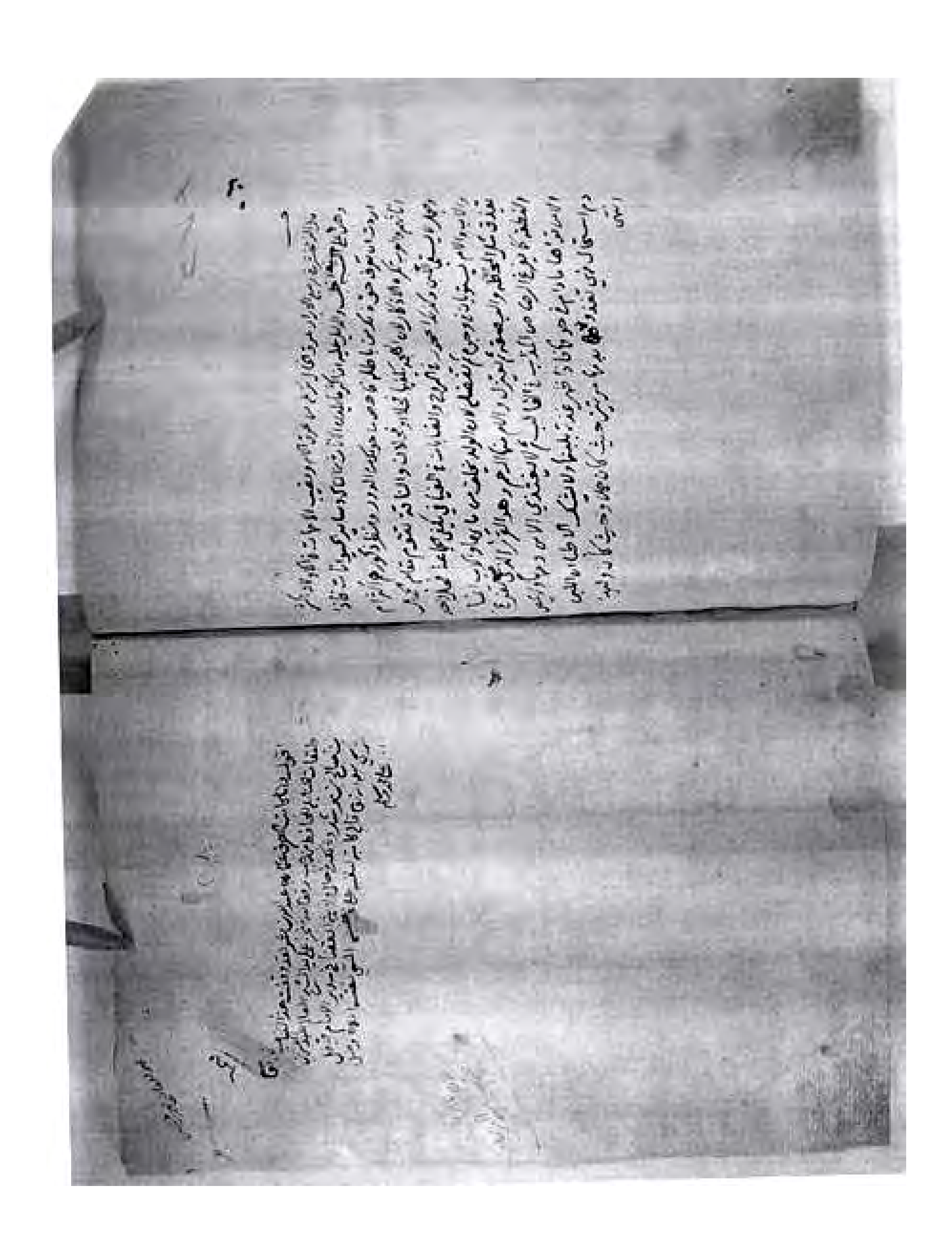
١٣٣٢ [illegible]

[illegible]



الاعلام في ذكر مشايخ الائمة الاعلام اصحاب الكتب الستة
عدة اجزا الكلام على حديث الطواف بالبيت صلاة جزء
كبير في مولد النبي صلى الله عليه وسلم تعليقة على سنن البيهقي
الكبرى كل منها مجلدات جزء كبير في المعجزات والكرامات
جزء في تحريم الربا جزء في تملك الاب من مال ولده ما شاء
جزء في العقيقة ترجمة الشيخ تقي الدين



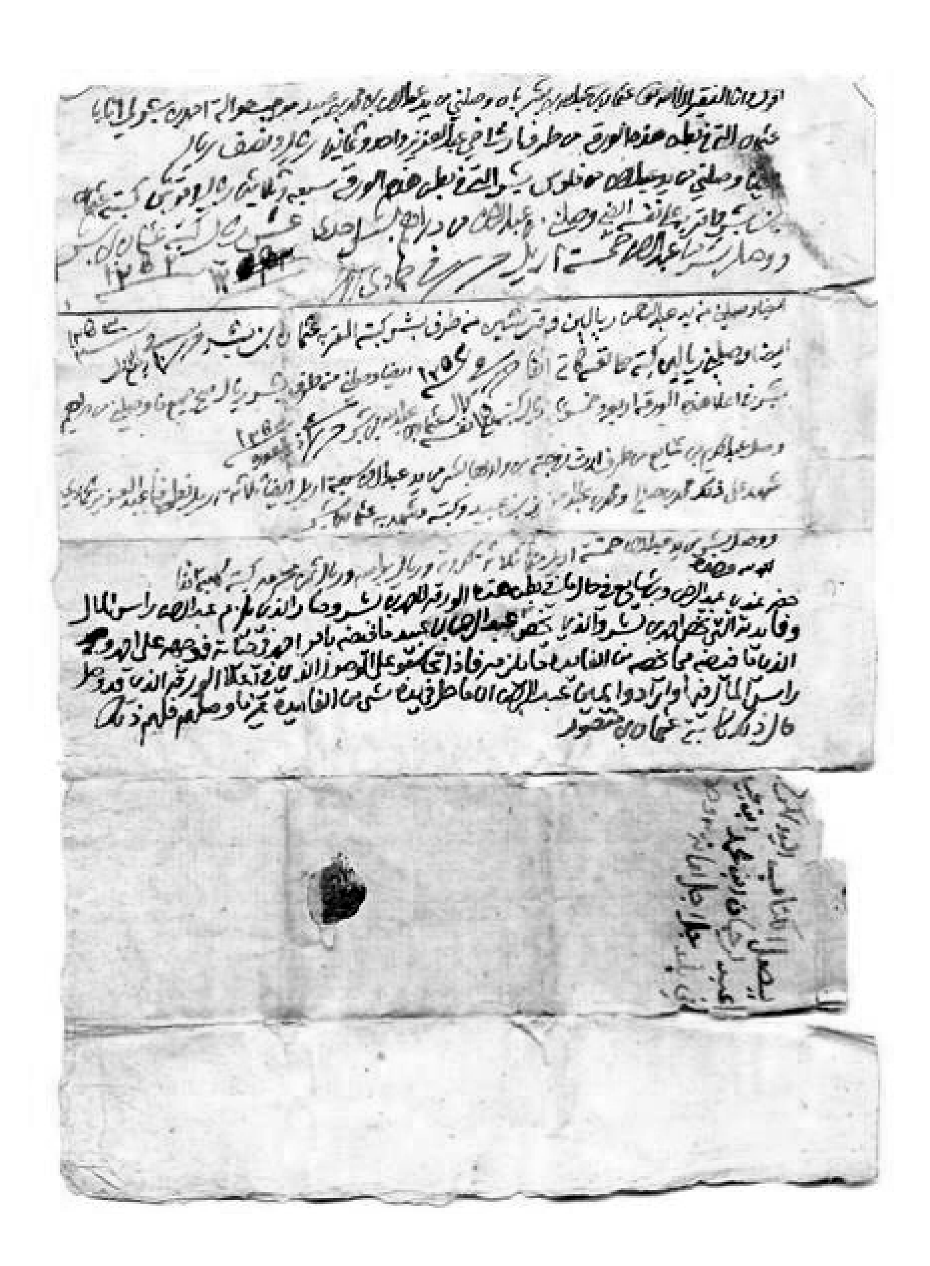






من احمد ابن محمد ابن بشر الى جناب المكرم الاخ [illegible]
ابن محمد ابن [illegible] السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد
يا اخي لا يخفى عليك بانني قبضت و[illegible]
من يد الاخ محمد ابن محمد [illegible] ريال [illegible]
[illegible] عليك فيكون قد [illegible]
بيد ابو [illegible] محمد ابن [illegible]
[illegible]
[illegible] والسلام حرر [illegible] ربيع الاول سنة ١٢٤٩

الحمد لله
ما في هذا السند [illegible] عبد الرحمن ابن محمد
ابن [illegible] اقرار [illegible] ١٢٤٩



[illegible]

ابراهيم [illegible] وتحته

عاقل وبدن العقد باع ما هو في ملكه وتحت تصرفه وهي ثلثي السعيد في [illegible]

في حويطه [illegible] المسماة قصر بن مخلص من جنوب حق السليمان [illegible]

ومن قبلي السحابة [illegible] الركيب ومن شمال السوق العابر وكذلك باع ابراهيم المذكور

ثلثي التوديع المعروف تحت قصر الحويطه من قبلي بين السوقين العابرات [illegible]

[illegible] من ذلك المبيع [illegible] التوديع كله فباع ابراهيم المذكور جميع ما ذكرنا

على محمد بن حمد بن سليمان بثمن قدره وعدده ثلاث وخمسين ريال [illegible]

نقد المشتري من الثمن اربعين ريال وثلاث عشر ريال [illegible] الى انسلاخ

ربيع الآخر من السنة تمام الثمانية من الهجرة فباع ابراهيم جميع ما ذكرنا على

محمد بجميع حقوقه الداخل والخارج من بير ومسيل وطريق وغير ذلك

من حقوق الملك ولم يبق فيه للبايع ولا لمن يأتي من عقبه حق ولا

لا مستحق ولا تبعة ان صدر بإيجاب وقبول على الامر الشرعي

والعقوبة الذي على [illegible] العقد ما دخلت [illegible] المبيع [illegible]

من نصف البير ما دخل في المبيع ابراهيم ضامن لمحمد عهدة المبيع المذكور

فان جاه احد فهو [illegible] ابراهيم [illegible]

[illegible] حق على [illegible] المبيع [illegible] الملك الذي [illegible]

ملكه في الحويطه المعروفه في علاوه [illegible] شهد على ذلك عبد المحسن

بن عثمان بن بشر وعبد العزيز بن [illegible] وشهد به وكتبه عثمان

بن عبد الله بن بشر وصلى الله على سيدنا محمد [illegible]

[illegible] عندي محمد المذكور ان [illegible] ابراهيم [illegible]

ذلك المبيع [illegible] ثلاث عشر ريال [illegible] ذلك المبيع

كله من السعيد والتوديع [illegible]

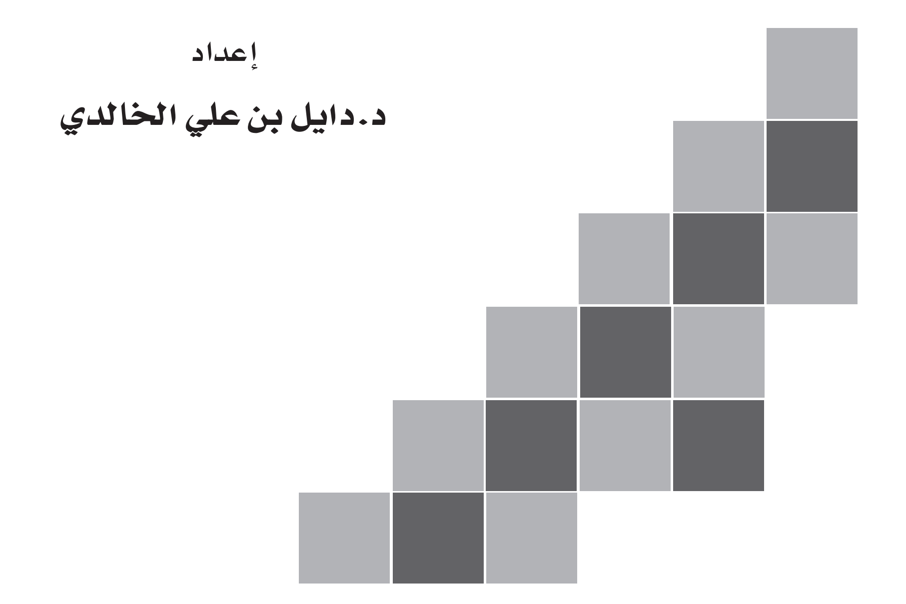
[illegible]



ابن بشر مؤرّخاً

إعداد

د. دايل بن علي الخالدي





تمهيد

كثيراً ما يجول بخاطر بعض الناس سؤال مهم: وهو هل لدراسة التاريخ جدوى؟ وهل لمعرفة الماضي فائدة؟ أليس الأجدى أن نهتم بالحاضر والمستقبل؟ وألا نضيع وقتنا في الحديث عن الأحداث الماضية؟

وحجة هؤلاء الناس أن الماضي قد وقع، ولا فائدة من الخوض في أحداثه، أو الانفعال بهذه الأحداث، فما حدث قد حدث، ولن تغير مشاعرُنا شيئاً من الماضي.

فالخير كل الخير - في رأي هؤلاء - أن نهتم بالحاضر الذى يحيط بنا، ويعبر عن مصالحنا وحاجاتنا الملموسة، إضافة إلى المستقبل الذى يمكن صياغته بما يخدم الإنسان.

ومع وجاهة هذا المنطق في الظاهر، والبريق الذى يغلفه، فإنه لا يعبر عن حقيقة، بل يحمل في طياته مغالطة كبرى، وتجاهلاً لحقيقة حياة الإنسان والشعوب.

ولكي ندرك هذه المغالطة نتساءل: ترى كيف يعيش شعب لم يدوِّن تاريخه؟ أو ضاع بعد تدوينه؟

كيف يكون حاضره؟ وكيف يضع خطط المستقبل، وقد ضاع تراثه وضاعت خبراته وتجاربه؟

من أجل هذا تستبسل الشعوب والأمم للحفاظ على تاريخها، وتتفاخر به، فبدونه لا يكون هناك حاضر أو مستقبل، وتظل هذه الشعوب تدور في دائرة مفرغة، محورها إشباع الحاجات اليومية الحيوية التي يشترك فيها الإنسان مع الحيوان دون أن تتقدم هذه الشعوب قيد أنملة، ولنا في القبائل البدائية الموجودة حتى اليوم عبرة !

ومن أجل هذا يحق لنا أن نفتخر بوجود مؤرخ ينتسب إلينا، أوقف حياته على تدوين أخطر مرحلة مرت بها بلاده نجد، وشبه الجزيرة العربية عموماً، وذلك في وقت عزَّت فيه الكتابة، وعزَّ فيه الاعتناء بتدوين التاريخ، إما لعدم القدرة على القيام بهذه المهمة الجليلة، أو للجهل بأهميتها.

نعم يحق لنا أن نفتخر بهذا المؤرّخ: الشيخ عثمان بن بشر، ومؤلفه النادر (عنوان المجد في تاريخ نجد)، وهو القائل فيه: «اعلم أن علم التاريخ علم شريف فيه موعظة واعتبار، واطلاع على حوادث الدهر الدوار، ومعرفة أحوال الماضين مما يوقظ الأذهان والأفكار، ويقيس العاقل على من مضى من أمثاله في هذه الدار ...»[١].

لقد شهد منتصف القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي ميلاد الدولة السعودية الأولى بعد المبايعة بين الإمام محمد بن سعود أمير الدرعية والشيخ محمد بن عبدالوهاب سنة ١١٥٧هـ/١٧٤٤م، عرف في التاريخ باتفاق الدرعية[٢].

وتبرز أهمية هذه المبايعة في أنها كانت نقطة تحول مهمة في تاريخ الجزيرة العربية وتاريخ اليقظة العربية والإسلامية الحديثة، فقد ألقت على عاتق الدولة الناشئة مهمة عظيمة تمثلت في العمل لتصفية العقيدة الإسلامية من شوائب الشرك والبدع والخرافات، وتحقيق التوحيد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ونشر الدعوة في نجد وأنحاء الجزيرة العربية وخارجها[٣].

---

(١) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، عنوان المجد في تاريخ نجد، تحقيق: عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ط٤، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م، ج٢، ص٧.

(٢) العثيمين، عبدالله الصالح، تاريخ المملكة العربية السعودية، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مئة عام على تأسيس المملكة، الرياض، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م، ج١، ص ٩١.

(٣) آل الشيخ، عبدالعزيز بن محمد، «اعتماد دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب على الكتاب والسنة»، بحوث أسبوع الشيخ محمد بن عبدالوهاب، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، مركز البحوث، الرياض، ١٤٠٣هـ/ =

إن قيام الدولة السعودية الأولى وما صاحبها من أحداث وتطورات في المجالات الدينية والسياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية شجعت على ظهور حركة تأليف تسجل وترصد هذه الأحداث المهمة؛ لذا تميزت هذه المرحلة من سابقتها ببروز مؤرخين محليين واكبوا أحداثها[(١)].

ومن أبرز هؤلاء المؤرخين الشيخ عثمان بن بشر الذي كان من أقطاب مؤرخي تلك المرحلة[(٢)].

نبذة عن حياة المؤرخ عثمان بن بشر:

هو الشيخ عثمان بن عبدالله بن عثمان بن أحمد بن بشر النجدي من قبيلة بني زيد القضاعية القحطانية، ولد في (جلاجل)[(٣)] من إقليم (سدير) عام ١٢١٠هـ/ ١٧٩٥م[(٤)]، وفيها تربى ونشأ وتلقى تعليمه.

ومع تيتمه صغيراً بعد وفاة والده عام ١٢١٥هـ/ ١٨٠٠م وهو لم يتجاوز الخامسة[(٥)]، فإنه تعلم القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم، وأخذ عن علماء جلاجل، ولشغفه

= ١٩٨٣م، ج ١، ص ١٦٩، أبو علية، عبدالفتاح، محاضرات في تاريخ الدولة السعودية الأولى، دار المريخ، الرياض، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م، ص ص ٢٣- ٢٤.

(١) الخويطر، عبدالعزيز بن عبدالله، عثمان بن بشر منهجه ومصادره، الرياض، ط ٣، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ص ص١٥- ٢٨.

(٢) عبدالغني، مصطفى، مؤرخو الجزيرة العربية في العصر الحديث، دار الموقف العربي، ١٩٨٠م، ص ٤٠.

(٣) يعتقد أن سبب تسميتها نسبة إلى جلجلة الماء بعد سقوط الأمطار وجريان الأودية، وورد اسمها بضم الجيم الأول وكسر الثانية، وكذلك بفتح الأولى وضم الثانية. وتقع جلاجل على الطريق العام القديم الذي يربط مدينة الرياض بمنطقة القصيم. انظر الأحيدب، إبراهيم، جلاجل – هذه بلادنا – الرئاسة العامة لرعاية الشباب، الرياض، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م.

(٤) آل بسام، الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن، علماء نجد خلال ثمانية قرون، دار العاصمة، الرياض، ط٢، ١٤١٩هـ، ج ٥، ص ١١٥، الطاهر، علي جواد، معجم المطبوعات العربية في المملكة العربية السعودية، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، ط ٢، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م، ٢/ ٩٥٩.

(٥) آل بسام، علماء نجد، ٥/ ١٥٥.

بالعلم تنقل كغيره من طلاب العلم بين حلقاته التي يقيمها العلماء في بلدان نجد[(١)].

ولكون الدرعية في ذلك الوقت منارة للعلم والعلماء حرص ابن بشر على الذهاب إليها وطلب العلم على يد علمائها[(٢)]، ومنهم الشيخ إبراهيم بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب الذي درس على يديه كتاب التوحيد.

ومن شيوخه قاضي سدير الشيخ إبراهيم بن سيف، والشيخ غنيم بن سيف وعثمان بن منصور، والفقيه علي بن يحيى بن ساعد القاضي وعبدالكريم بن معيقل والشيخ عبدالله بن عبدالرحمن أبا بطين[(٣)].

وقد حج ابن بشر لأول مرة عام ١٢٢٥هـ/١٨١٠م، وكان عمره خمسة عشر عاماً[(٤)]، وهو ما يدل على نضجه ورجاحة عقله.

وبعد أن حظي عثمان ابن بشر بتلقي العلم على أيدي هؤلاء العلماء إضافة إلى ذكائه وشدة حفظه أصبح من علماء نجد ومؤرخيها الذين يتوافد عليهم طلبة العلم، ويحرصون على تلقي العلم منهم، وساعد على ذلك تمتعه بالأخلاق الحسنة وحسن المعشر والسيرة[(٥)]، وهذا جعله مقبولاً ومحبوباً عند الناس.

إنتاجه العلمي:

أما تراثه العلمي فهو شيء يدعو إلى الإعجاب لتنوعه إذ ترك لنا مصنفات كثيرة منها[(٦)]:

---

(١) القاضي، محمد بن عثمان بن صالح، روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين، مطبعة الحلبي، القاهرة، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠م، ج ٢، ص٨٢.

(٢) الجاسر، حمد، «مؤرخو نجد من أهلها»، مجلة العرب، السنة الخامسة، ربيع الآخر ١٣٩١هـ/١٩٧١م، ج١٠، ص٨٨١، آل بسام، علماء نجد، ٥ / ١١٥.

(٣) آل بسام، علماء نجد، ٥ / ١١٥، القاضي، روضة الناظرين، ج ٢، ص ٨٣.

(٤) الزركلي، خير الدين، الأعلام، الناشر المؤلف، ط ٣، ٤ / ٣٧١.

(٥) الأحيدب، إبراهيم بن سليمان، جلاجل، الرئاسة العامة لرعاية الشباب، الرياض، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م، ص٧٠.

(٦) الطاهر، معجم المطبوعات العربية، ج٢، ص ٩٥٩، الزركلي، الأعلام، ٤ / ٣٧١، آل بسام، علماء نجد، ج٥، ص ١١٦ – ١١٧، ابن عثمان القاضي، روضة الناظرين، ج٢، ص ٨٣.

(١) كتابه (عنوان المجد في تاريخ نجد) وهو أشهرها، إذ يعد من أهم المصادر التاريخية لنجد والجزيرة العربية.

(٢) كتاب (سهيل في ذكر الخيل)[١] وجاء في سبعة كراريس.

(٣) كتاب (مرشد الخصائص ومبدي النقائص في النبلاء والثقلاء والطفيليين)[٢].

(٤) كتاب في الفلك بعنوان (الإشارة في معرفة منازل السبعة السيارة) في نحو أربعة كراريس[٣].

(٥) كتاب (القراء السبعة والفقهاء السبعة والسيارات السبعة والأقاليم السبعة).

(٦) كتاب (فهرس طبقات الحنابلة للحافظ ابن رجب).

(٧) كتاب بعنوان (بغية الحاسب).

يضاف إلى ما سبق بعض الرسائل المتنوعة.

ومع تعدد مؤلفات ابن بشر فإن كتابه (عنوان المجد في تاريخ نجد) حظي بمكانة فريدة حتى يومنا هذا؛ لأنه يعد المصدر الأساس الذي يؤرّخ لأهم مرحلة في نجد وشبه الجزيرة العربية، وهو كتاب جعل من ابن بشر مؤرخاً يشار إليه بالبنان.

ومن الطبيعي أن يكون لرجل في مكانته تلاميذ، ومن أبرز تلاميذه الشيخ ركبان ابن عبدالعزيز بن ركبان الباهلي[٤].

---

(١) طبع عام ١٤٣٣هـ بعنوان (سهيل فيما جاء في ذكر الخيل) في دارة الملك عبدالعزيز بتحقيق الدكتور عبدالله عسيلان.

(٢) طبع عام ١٤٣٣هـ بعنوان (مرشد الخصائص ومبدئ النقائص في الثقلاء والحمقى وغير ذلك) في دارة الملك عبدالعزيز بتحقيق الدكتور حمد الدخيِّل.

(٣) طبع عام ١٤٣٦هـ بعنوان (كتاب الإشارة إلى معرفة منازل السبعة السيّارة) في دارة الملك عبدالعزيز بتحقيق الدكتور محمد بن سعد المقري.

(٤) أبو قايد، أحلام علي، عثمان بن بشر وكتابه عنوان المجد في تاريخ نجد، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ص ٦٩ .

وكان الشيخ ركبان يميل إلى العلوم الطبية، إضافة إلى معرفته الجيدة بالعلوم الشرعية وغيرها، فصار طبيباً مفتياً مستشاراً لسكان المنطقة، حتى وافاه أجله عام ١٣٦٣هـ/ ١٩١٧م، وكان في الرياض[١].

أسباب تأليف كتاب (عنوان المجد في تاريخ نجد):

يوضح ابن بشر من مقدمته للكتاب الأسباب والدوافع التي حملته على كتابة تاريخه، ومن أهمها ما يأتي:

١ - أهمية علم التاريخ فهو يرى «أن علم التاريخ علم شريف»[٢]، وأن الناس في حاجة إلى معرفة الأخبار الماضية فيقول: «إن النفوس لم تزل تتشوق لأخبار الماضين، وتتوق لأحوال الولاة المتقدمين والمتأخرين...» [٣].

٢ - إعجابه بدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وجهود الإمام محمد ابن سعود وأبنائه وتأييدهم في إزالة البدع والفساد والجهل والضلال، وإحياء السنة وإحلال الأمن والأمان في نجد وبقية أنحاء الجزيرة العربية، فيقول: إن ذلك «بسبب من عمت بركة علمه العباد ... الشيخ الأجل والكهف الأظل محمد بن عبدالوهاب... فآواه من جعل عز الإسلام على يديه... محمد بن سعود وبنوه، ومن ساعدهم على ذلك وذووه، خلد الله ملكهم مدى الزمان، وأبقاه في صالح عقبهم ... »[٤].

٣ - تحقيق رغبة ذاتية لديه في كتابة تاريخ الدعوة الإصلاحية وحماتها من آل سعود، الذين نجحوا في إعادة العقيدة السليمة وفرض الأمن والأمان في ربوع

(١) البسام، علماء، ٢ / ١٩٣.

(٢) ابن بشر، عنوان المجد، ج ٢، ص ٧.

(٣) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٥.

(٤) المصدر نفسه، ج١، ص ٢٧.

نجد والجزيرة العربية، فهو من أشد المعجبين والمؤيدين للدولة السعودية ويرى أن تسجيل وقائعهم شرف له، وفي ذلك يقول: «إن نفسي لم تزل تتوق لمعرفة وقائعهم [آل سعود] وأحوالهم وجيوشهم العرمرمية وقتالهم، فإنهم هم الملوك الذين حازوا فضائل المفاخر، وذل لهيبتهم كل عنيد من بادٍ وحاضر... فحقيق لمن هذه حالهم وفعالهم أن يتشرف القرطاس والمداد بنشر فضائلهم في البلاد وبين العباد»[(١)].

٤ - رغبته في سد الفراغ التاريخي لمنطقة نجد التي لم يعتن علماؤها بتدوين تاريخها على خلاف بقية الأقطار التي أرّخ علماؤها لها، فنلمح شعوراً بالأسى في قوله: «وكل علماء جميع الأقطار في الحرمين والشام ومصر والعراق والغرب وبلاد الروم وبلاد العجم وغير ذلك أرخوا أوطانهم وأرخوا من بناها وسكنها وتولى فيها وما حدث فيها من الحروب... ولا سمعنا بأحد من علماء نجد وضع شيئاً من ذلك فالله المستعان»[(٢)].

فهو ينتقد عدم تسجيل علماء نجد لتاريخهم، وإن وجد تدوين فهو ناقص وغير وافٍ، وفي ذلك يقول: «واعلم أن أهل نجد وعلماءهم القديمين والحديثين لم يكن لهم عناية بتأريخ أيامهم وأوطانهم ولا من بناها، ولا ما حدث فيها، وسار منها وسار إليها إلا نوادر يكتبها بعض العلماء، هي عنها أغنى؛ لأنهم إذا ذكروا السنة قالوا: قتل فيها فلان بن فلان، ولا يذكرون اسمه ولا سبب قتله، وإذا ذكروا قتالاً أو حادثة قالوا: في هذه السنة جرت الوقعة الفلانية. ونحن نعلم أن من زمن آدم إلى اليوم كله قتال، لكن نريد أن نعرف الحقيقة والسبب، وما يقع فيها من الغرائب والعجب،

---

(١) ابن بشر، عنوان المجد، ج ١، ص٢٧- ٢٩.

(٢) المصدر نفسه، ج١، ص ٤٠٩.

وكل ذلك في تاريخهم معدوم...»[١].

لهذا شعر ابن بشر أن نجداً بما جرى فيها من حوادث تمثلت في قيام الدولة السعودية الأولى وما صاحبها من تغيرات على المستوى السياسي والعسكري والاجتماعي بحاجة إلى من يدون هذه الأحداث فيذكر: «إني أردت أن أجمع مجموعاً في وقائع آل سعود وأيامهم وأخبارهم ولا وجدت من يخبرني عنها خبراً مصدقاً... وإني تتبعت من أرخ أيامهم فلم أجد ما يشفي الغليل»[٢]. ومما شجعه على التصدي لهذه المهمة أنه وجد بعض الكتابات والإشارات التي ساعدته على البدء في الكتابة[٣].

أهمية الكتاب:

عندما نتصفح كتاب (عنوان المجد في تاريخ نجد) فإننا نشعر من الوهلة الأولى أن ابن بشر صاحب قضية يدافع عنها، ورسالة يؤمن بها.

فالعنوان في حد ذاته يوحي بالفخر الذى يشعر به نحو وطنه، والإعجاب بإسهام أبنائه في بناء تاريخه المجيد. ويظهر هذا الفخر وهذا الإعجاب عندما يتحدث ابن بشر عن الشرف الذي سيناله إذا أرخ للشيخ محمد بن عبدالوهاب وآل سعود، فيقول في كتابه: «فحقيق لمن هذا حالهم وفعالهم أن يتشرف القرطاس والمداد بنشر فضائلهم في البلاد وبين العباد ...»[٤].

أي فخر هذا؟! وأي وطنية هذه؟! وأي تواضع هذا في الحديث عن الأئمة والعلماء؟! إنه لا يتحدث بوصفه مؤرخاً، بل بوصفه عاشقاً لوطنه وتاريخه!

---

(١) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص ٢٩.

(٢) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٣) المصدر نفسه، ج١، ص٣٠، ج ٢، ص ٢٤.

(٤) المصدر نفسه، ج١، ص ٢٩.

ويعد كتاب (عنوان المجد في تاريخ نجد) أهم المصادر التاريخية على الإطلاق التي تحدثت عن الدولة السعودية بعهديها: الأول والثاني وما صاحبهما من أحداث[1]، وتبرز أهمية الكتاب في أمور، منها:

١ - معاصرة ابن بشر للأحداث:

لاشك أن معاصرته للأحداث التي دونها تكسب كتابه وروايته التاريخية طابع الصدق والدقة[2]، فالمؤرّخ الذي يعيش الأحداث التي يدونها زماناً ومكاناً مثل ابن بشر أقدر من غيره من المؤرخين اللاحقين على وصفها وتصويرها؛ ذلك لأن الكتابة التاريخية المعاصرة للأحداث زماناً ومكاناً تعتمد كثيراً على المعاينة والمشاهدة والسماع من مصادر متنوعة، وهذا يجنب المؤرخ الوقوع في الأخطاء التي قد يقع فيها غيره[3]. فكثير من الأحداث التي دونها ابن بشر كان معاصراً وشاهد عيان لها، فقد حج وعمره خمسة عشر عاماً مع الإمام سعود بن عبدالعزيز سنة ١٢٢٥هـ / ١٨١٠م فيقول: «وحججت في تلك السنة، وشهدت سعوداً وهو راكب مطيته محرماً بالحج ... ورأيت الشريف غالب أقبل فوق حصانه، ونحن جلوس في الصف وليس معه إلا رجل واحد، ونزل سعود من كور مطيته وسلم عليه وتعانقا، وسلم عليه المسلمون فأقيمت الصلاة وقصدنا بعدها عرفة»[4]. وقد نجح ابن بشر في وصفه الأحداث في عهد الدولة السعودية الأولى والثانية، ومن ذلك وصفه للدرعية بوصفه شاهد عيان بقوله: «ولقد رأينا الدرعية بعد ذلك في زمن سعود بن

(١) العثيمين، تاريخ المملكة، ج١، ص ٨، ١١.
(٢) الخويطر، عثمان بن بشر، ص ص ١٧٥ - ١٧٦.
(٣) الحميد، عبداللطيف محمد، «منهج مؤرخي التاريخ السعودي في تدوين الرواية الشفوية»، مجلة الدارة، الرياض، ١٤٢٢هـ، ع١، ص ٥٥.
(٤) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص ٣١٤ - ٣١٥.

عبدالعزيز بن محمد بن سعود رحمهم الله تعالى وما فيه أهلها من الأموال وكثرة الرجال»[١]. فهو إذن سجل دقيق للمواقع والحروب والمواجهات التي حدثت في ذلك الوقت . فما دوّنه ابن بشر في كتابه لا يعدو أن يكون مصدره مما جمعه من مصادر موثوقة وقعت تحت يديه لمراحل سابقة، واطمأن لما فيها، أو مما أخذه من شهود عيان ثقات وتواترت به الأخبار، أو أحداث شهدها وعاشها بنفسه.

٢ - مصداقية الكتاب ودقته :

يشترط في المؤرخ أن يكون صادقاً فيما يقول وأميناً فيما ينقل[٢]، وقد تحرى ابن بشر الصدق والأمانة إذ بيّن ذلك في مقدمة كتابه بقوله: «بذلت جهدي في تحري الصدق، ولم أكتب إلا ما يقع في ظني أنه الحق»[٣].

كما أنه - رحمه الله - كان يتصف بالدقة في النقل فلا يثبت كل ما سمعه، بل يعرضه للفحص والنقد فيقول: «والكذب آخر هذا الزمان غلب على الناس، فلا نتجاسر أن نكتب كل ما نقلوه في القرطاس؛ لأننا وجدناهم إذا سمعوا قولاً ونقلوه من موضع إلى موضع زادوه ونقصوه، واختلاق الكذب عليهم أغلب فذهبوا فيه كل مذهب»[٤].

ويتضح مدى حرصه على نقل الحقيقة وتحري الصدق من اعتذاره في مقدمته من وقوع النقص أو الزيادة بأنه لم يتعمد الكذب، فيقول: «فليعلم الواقف عليه أني لم أتعمد الكذب فيه، وإنما هو ممن نقله إلي والعهدة على ناقليه»[٥].

(١) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص ٤٤.

(٢) عثمان، حسن، منهج البحث التاريخي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٤م، ط ٨، ص ص ١٨ - ١٩.

(٣) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص ٣٠.

(٤) المصدر نفسه، ج١، ص ٢٩.

(٥) المصدر نفسه، ج١، ص ٣٠.

ويرى الدكتور عبدالعزيز الخويطر، رحمه الله، أن ابن بشر كان يتحفظ عندما يكتب، ويتحرز في ألا يكتب إلا ما يعتقده صحيحاً[1]، فيقول متحرياً الدقة في إحدى سوابقه: «وفي سنة ست وقيل سبعة وأربعين وألف وقع غلاء»[2]، فهو لم يختصر؛ ولأنه غير متأكد من السنة لم يقرر إحدى السنتين، وفضل أن يترك الأمر بينهما[3].

ويقول في إحدى سوابقه أيضاً: «وفي سنة ثلاث وثمانين سار إبراهيم بن سليمان أمير بلد جلاجل... وقيل: إن ذلك في سنة أربع وثمانين»[4]. ويعزو الخويطر هذا الاستدراك إلى دقة ابن بشر وتحريه المصداقية[5].

ومن أمثلة دقته أيضاً قوله في وصفه مقام إبراهيم في أثناء حجه سنة ١٢٢٥هـ/١٨١٠م: «ورأيتها وهي صخرة بيضاء مربعة الرأس طولها نحو الذراع، وعليها سبيكة صفراء، لا أدري ذهب أم صفر مستديرة بالصخرة... وعلى القدمين الشريفين تراب ولا رأيت إلا حوائفهما»[6]. يضاف إلى ذلك إدراكه - رحمه الله - للمسؤولية الملقاة على عاتقه في تدوين تاريخه، فنجده يكرر الدعاء في أكثر من موضع فيقول: «فنسأل الله العظيم أن يعصمنا من الزلل في القول والعمل»[7]، وفي موضع آخر: «فأسأل الله الذي لا إله إلا هو أن يلهمنا صدق القول»[8].

٣ - مصادر الكتاب:

لا شك أن مصادر أي كتاب إما أن تكسبه الأهمية أو تفقده إياها، وقد أكسبت

(١) الخويطر، عثمان بن بشر، ص ١٧٦.
(٢) ابن بشر، عنوان المجد، ج ٢، ص ٣٢١.
(٣) الخويطر، عثمان بن بشر، ص ١٧٧.
(٤) ابن بشر، عنوان المجد، ج ٢، ص٣٣٢.
(٥) الخويطر، عثمان بن بشر، ص١٧٧.
(٦) ابن بشر، عنوان المجد، ج ١، ص٣١٦.
(٧) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٩.
(٨) المصدر نفسه، ج ١، ص ٣١.

مصادر ابن بشر كتابه أهمية كبيرة، ومن هذه المصادر:

أولاً: المصادر المكتوبة:

اعتمد ابن بشر فيما كتبه عن المرحلة البعيدة من عصره التي أوردها في سوابقه على مصادر معروفة يأتي على رأسها القرآن الكريم باستشهاده بآيات منه(١)، وكذلك استشهاده بأحاديث شريفة(٢) ومواقف من سير الصحابة(٣)، إضافة إلى كتب في الفقه والحديث والأدب وغيرها(٤). وسنكتفي ببعض مصادر ابن بشر التاريخية لكون كتابه تاريخياً، وأبرزها:

١ - كتاب (روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام) للشيخ حسين بن غنّام:

أخذ منه ابن بشر أخبار كثير من الأحداث والغزوات، وعلى الرغم من عدم إشارته إليه(٥) فإنه لم يغفل ذكر ابن غنام والثناء عليه(٦)، فكان يسميه بالشيخ العالم حسين بن غنام(٧)، وينعته بالبحر الغزير(٨). وقد أشار ابن بشر في حوادث سنة ١٢٢٥هـ/١٨١٠م إلى وفاة الشيخ حسين بن غنام ويصفه بقوله: «توفي الشيخ العلامة والبحر الفهامة حسين بن غنام الأحسائي، كانت له اليد الطولى في معرفة العلم وفنونه، وله معرفة في الشعر والنثر ...»(٩).

(١) ابن بشر، عنوان المجد، ج ١، ص ٢٥، ٢٧، ج ٢، ص ٧٤، ٩٠.
(٢) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٥، ٩٨.
(٣) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٥ - ٢٦، ٢٧٢ - ٢٧٣.
(٤) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٥٦، ج ٢، ص ١٠٨.
(٥) الجاسر، «مؤرخو نجد»، ص ٨٨٢ .
(٦) المرجع نفسه، ص ٨٨٢ .
(٧) ابن بشر، عنوان المجد، ج ١، ص ١٨٤، ١٩٣، ١٩٦.
(٨) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢١٩.
(٩) المصدر نفسه، ج ١، ص ٣١٠ - ٣١١.

وقد سمى ابن بشر الشيخ ابن غنام بالاسم عندما كان يورد قصائده، فبعد وفاة الشيخ محمد بن عبدالوهاب سنة ١٢٠٦هـ/١٧٩١م أورد مرثية ابن غنام في الشيخ[١]، وذكر قصيدته في تهنئة الإمام سعود بن عبدالعزيز بالحج[٢]، وأورد ستين بيتاً من شعره في دفاعه عن دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ورده على قصيدة محمد بن فيروز التي تهجم فيها على الدعوة[٣].

ومن القصائد التي ضمنها ابن بشر كتابه للشيخ ابن غنام قصيدته التي يمدح فيها الشيخ محمد بن عبدالوهاب والإمام عبدالعزيز والإمام سعود[٤].

وبذلك يكون ابن بشر قد أورد أكثر من ٢٧٠ بيتاً من شعر ابن غنام مع الثناء عليه وهذا يجعلنا نحسن الظن بابن بشر في محاولته إخفاء آثار من سبقه التي أشار إليها بعض المؤرخين.

٢ - كتاب (الأخبار النجدية) للفاخري:

مؤلفه الشيخ محمد بن عمر الفاخري، نقل منه ابن بشر كثيراً مما جاء فيه ولم يشر إليه[٥]، إلا أنه ذكر اسم محمد بن عمر الفاخري في حوادث سنة ١٢٣٣هـ/ ١٨١٨م عندما أشار إلى الفساد والفوضى التي عمت البلاد بعد سقوط الدرعية، وأن الفاخري أرّخ لهذه الأوضاع والأحوال[٦].

ويرجح حمد الجاسر أن هناك علاقة قوية بين الشيخين[٧]، فقد كتب الفاخري على كتاب عنوان المجد ما نصه: «أقول قولاً بيناً ظاهر ... كم ترك الأول للآخر»،

(١) ابن بشر، عنوان المجد، ج ١، ص ١٩٣ - ١٩٦.
(٢) المصدر نفسه، ج ١، ص ١٩٦- ١٩٩.
(٣) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢١٩- ٢٢٥.
(٤) المصدر نفسه، ج ١، ص ٣٥٦- ٣٦٠.
(٥) الجاسر، «مؤرخو نجد»، ص ٨٨٢ .
(٦) ابن بشر، عنوان المجد، ج ١، ص ٤٢٥ - ٤٢٦.
(٧) الجاسر، «مؤرخو نجد»، ص ٨٨٣ .

كتبه محمد بن عمر الفاخري[١].

وكتب الفاخري في هامش حوادث سنة ١٢١٥هـ/١٨٠٠م ما نصه: «وفي هذه السنة توفي عبدالله بن عثمان بن بشر ببلدة جلاجل، وهو والد الشيخ عثمان مصنف هذا الكتاب وغيره... كتبه محمد بن عمر الفاخري»[٢]. بالنظر في مولد كل منهما نجد أن الفاخري يكبر رفيقه بنحو ٢٤ سنة، وعندما توفي كان ابن بشر على مشارف الستين من العمر، وقد ولدا ونشآ في نجد، إضافة إلى أنهما من علماء نجد ومؤرخيها، فلا غرابة من وجود علاقة قوية بينهما.

٣ - **كتاب (الإعلام بأعلام بيت الله الحرام)** لقطب الدين النهرواني:

ورد ذكره في كتاب ابن بشر عندما نقل منه حادثة ظهور شاه إسماعيل، وحربه مع السلطان سليم الأول[٣].

٤ - **كتاب (سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي)** لعبدالملك العصامي:

يعد هذا الكتاب من أبرز الكتب التي أفاد منها ابن بشر فيما يتعلق بسوابق كتابه، فقد أشار للعصامي بالاسم في أكثر من ثمانية مواضع[٤]، وكان يشير إليه في الأغلب بصيغة: «وقال العصامي بتاريخه»[٥]. وانحصرت الحوادث التي أخذها من تاريخ العصامي بين عامي ٩٨٦هـ/١٥٧٨م و١١٠٣هـ/١٥٩٤م[٦]، وضمنها بحدث وقع سنة ١١١٤هـ / ١٧٠٢م[٧].

(١) ابن بشر، عنوان المجد، ج ١، ص ٤٢٦.
(٢) المصدر نفسه، ج ١، حاشية (١) ص ٢٥٦، الجاسر «مؤرخو نجد»، ص ٨٨٣.
(٣) ابن بشر، عنوان المجد، ج ٢، ص ٣٠٠ - ٣٠٢.
(٤) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٣٠٤، ٣٠٧، ٣٢٩، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٥، ٣٣٧، ٣٤٤.
(٥) المصدر نفسه والصفحة نفسها.
(٦) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٣٠٤، ٣٤٥.
(٧) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٣٤٥.

وكانت الحوادث التي أخذت من تاريخ العصامي تتعلق بالأشراف ومسيرهم لنجد أو مواجهتهم مع القبائل، فقد ذكر ابن بشر مسير الشريف حسن بن أبي نمي إلى نجد سنة ٩٨٦هـ/١٥٧٨م[١]، وكذلك خروج الشريف محسن بن حسين إلى قرب الأحساء سنة ١٠٣٢هـ/١٦٢٢م[٢].

أما مواجهات الأشراف مع القبائل فقد أورد مواجهات الشريف حمود بن عبدالله بن حسن مع مطير وعنزة سنة ١٠٨٠هـ/١٦٦٩م[٣]، وخروج الشريف بركات مع قبيلة حرب بعدها بأربع سنوات[٤]. وذكر حادثة السيل الكبير الذي أغرق مكة وخرب الدور وأتلف الأموال سنة ١٠٩٠هـ/١٦٧٩م[٥].

٥ - مؤلفات الشيخ مرعي بن يوسف:

له مؤلفات عدة ذكرها ابن بشر[٦]، يهمنا منها كتابان في التاريخ هما: (نزهة الناظرين في تاريخ من ولي مصر من الخلفاء والسلاطين)، وكتاب (قلائد العقيان في فضائل سلاطين بني عثمان)[٧].

وقد أخذ (ابن بشر) من هذين الكتابين أو أحدهما على الأقل، وكان يذكر ذلك بقوله: «وقال مرعي بن يوسف في تاريخه ...»[٨]، أو بقوله: «وهذا مثل ما ذكره الشيخ مرعي بن يوسف في تاريخه»[٩].

---

(١) ابن بشر، عنوان المجد، ج ٢، ص ٣٠٤.
(٢) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٣٠٧.
(٣) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٣٢٩ - ٣٣٠.
(٤) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٣٣٢.
(٥) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٣٣٥.
(٦) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٣١٠.
(٧) المصدر نفسه والصفحة نفسها.
(٨) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٦، ج ٢، ص ٣٠٦.
(٩) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢١٩.

وتنوعت المواضع التي ذكر فيها ابن بشر الشيخ مرعي بن يوسف، فقد أخذ عنه في مقدمة كتابه[١]،وفي سوابقه[٢]، وأفرد له ترجمة في سنة ١٠٣٣هـ/ ١٦٢٣م من سوابقه، وهو العام التي توفي فيه مرعي بن يوسف[٣].

٦ - **كتب تاريخية أخرى:**

أورد ابن بشر مؤلفات تاريخية اطلع عليها، وضمن كتابه أحداثاً منها، من ذلك (تاريخ الخلفاء) للسيوطي، و(تاريخ الخميس) و(تاريخ اليافعي)[٤].

ثانياً: المصادر الشفوية (الرواية الشفوية):

تعد الروايات الشفوية من المصادر المهمة في كتابة التاريخ، فهي مورد من موارد التدوين التاريخي، بل إنها كانت الوسيلة الأكثر شهرة في حفظ الأخبار والحوادث ونقلهما[٥].

كانت الرواية الشفوية أحد مصادر ابن بشر، فنقل كثيراً من الحوادث عن المرحلة التي سبقته أو التي عاصرها من رجال عاشوها، أو نقلوها مشافهة عمن رأوها[٦].

وأشار ابن بشر بوضوح إلى هذا الأمر في مقدمة كتابه، فقال: «... وأخذت صفة الوقائع والمواضع من أفواه رجال شاهدوها وما لم يدركوه منها فعمن شاهدها نقلوها ...»[٧].

---

(١) ابن بشر، عنوان المجد، ج ١، ص ٢٦.
(٢) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٣٠٦.
(٣) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٣٠٨ - ٣١١.
(٤) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٨٦.
(٥) الحميد، «منهج مؤرخي التاريخ السعودي»، ص ٥٠ - ٥١.
(٦) الخويطر، عثمان بن بشر، ص ٧٩.
(٧) ابن بشر، عنوان المجد، ج ١، ص ٣٠.

ويذكر أيضاً في مقدمة الجزء الثاني من الكتاب: «ولما منَّ اللّه بتوفيقه وتيسيره بجمع أول هذا الكتاب وتسطيره، وافٍ بالمقصود من أخبار نجد، وبذلت فيه الجد والجهد، متحري الصواب فيما نقلته من أفواه الرجال المشاهدين لتلك الفتن والحروب والقتال ...»[(١)].

ويقول فى موضع آخر: «فليعلم الواقف عليه أني لم أتعمد الكذب فيه، وإنما هو ممن نقله إلي والعهدة على ناقليه»[(٢)].

وتزداد أهمية الرواية الشفوية ومصداقيتها إذا كانت من مصدر موثوق وأخضعها المؤرخ للنقد والفحص، وقد حرص ابن بشر على تحري الصدق والدقة فيما ينقله، والأخذ من المصادر الموثوقة ما أمكنه ذلك، فيقول: «وبذلت جهدي في تحري الصدق، ولم أكتب إلا ما يقع في ظني أنه الحق من قول ثقة يغلب على الظن صدقه عن صفة الوقائع ومواضعها وغير ذلك»[(٣)].

وأبـرز مصادره الشفوية شيوخه ومعلموه الذين درس عليهم، ومن عاصر الأحداث قبل مولده، ومنهم الشيخ إبراهيم بن محمد بن عبدالوهاب[(٤)]، فقد قرأ عليه كتاب التوحيد سنة ١٢٢٤هـ/١٨٠٩م، وهذا يدل على اتصال ابن بشر بأسرة الشيخ محمد بن عبدالوهاب رأس الدعوة، وتعلمه على أيديهم، وهو شرف عظيم يتمناه كثير من العلماء.

فمن الطبيعي أن يستقي ابن بشر في أول حياته العلمية ثقافته ومعلوماته التاريخية في المرحلة السابقة من شيوخه الذين عاصروها، ومن أبناء الشيخ محمد ابن عبدالوهاب على وجه الخصوص؛ لأن كتابه (عنوان المجد فى تاريخ نجد) يؤرخ

(١) ابن بشر، عنوان المجد، ج ٢، ص ٢٣- ٢٤.
(٢) المصدر نفسه، ج ١، ص ٣٠.
(٣) المصدر نفسه، ج ١، ص ٣٠
(٤) المصدر نفسه، ج ١، ص ١٩١.

أساساً لدعوة الشيخ، وارتباطها بقيام الدولة السعودية، وهو ما يشعرنا بالثقة فيما يخص رواياته عن الدعوة.

وكذلك فإن ابن بشر كان يخضع الرواية الشفوية إلى الفحص حتى بعد تدوينه لها، فإذا تبين عدم مصداقيتها وصحتها حذفها من كتابه، ففي حوادث سنة ١١٥٧هـ/ ١٧٤٤م يقول: «واعلم رحمك الله أني قد ذكرت في المبيضة الأولى أشياء نقلت لي عن عثمان بن معمر وفرسانه أنه أمرهم بقتل الشيخ في الطريق وغير ذلك، ثم تحقق عندي أنه ليس لها أصل بالكلية، فطرحتها من هذه المبيضة»[١].

واستعمل ابن بشر للحوادث والمعلومات التي أخذها من مصادر شفوية صيغة: (أخبرني)، أو (ذكر لي)، أو (قيل)، أو (قال لي)، أو (تواتر أن)، أو (حكي أنه)[٢].

ونستطيع أن نرتب مصادره الشفوية من حيث المصداقية على ثلاثة مستويات:

المستوى الأول: وهو أكثرها مصداقية، وفيه يذكر مصدر الخبر ويسميه أحياناً، ومن أمثلة ذلك:

قوله: «وأخبرني شيخنا القاضي عثمان بن منصور الحنبلي الناصري متع الله به ...»[٣].

ويروي عن كاتب الإمام عبدالعزيز بن محمد بقوله: «وأخبرني كاتبه، قال: إن عبدالعزيز أخذه يوماً صداع فدعاني، وقال اكتب صدقة لأهل النواحي ...»[٤].

ويقول عن طاعة الأمراء للإمام فيصل بن تركي في حوادث عام ١٢٦٥هـ/ ١٨٤٨م: «قال لي رجل من أمراء سدير والله ما أمرنا على واحد فتعذر ...»[٥].

(١) ابن بشر، عنوان المجد، ج ١، ص ٤٠-٤١.

(٢) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٧٤، ٢٧٦، ج ٢، ص ٢٥٨، ٢٦٦.

(٣) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٣٢٣- ٣٢٤.

(٤) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٧٦.

(٥) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٥٨.

ويروي عن حوادث عام ١٢١٨هـ/١٨٠٣م - عندما كان عمره ثماني سنوات فيقول: «وأخبرني أحمد بن محمد المدلجي رحمه الله تعالى قال: كنت كاتباً لعمال علوي من مطير مرة في زمن عبدالعزيز ...»[١]، وكذلك في حوادث السنة نفسها بقوله: «وأخبرني من أثق به قال: أناخ بيوم واحد ...»[٢].

وعن حصار الحملة الفرنسية لعكا في حوادث عام ١٢١٢هـ/ ١٧٩٧م يذكر ابن بشر أنه نقل أحداثها عن شاهد عيان، فيقول في نهاية روايته: «وكان الذي أخبر مؤرخ هذه الواقعة رجل من حرب ثقة قد حضرها هو وثلاثون رجلاً من قومه، كلهم هلكوا في ذلك الحرب سواه، وهو الذي وصل بالبشارة إلى الحرمين»[٣].

وينقل خطبة الإمام تركي بن عبدالله لأتباعه بعد خروجه من الأحساء في حوادث سنة ١٢٤٨هـ/١٨٣٢م من شاهد عيان، فيقول: «أخبرني من حضر ذلك الجمع أنه قال...»[٤].

المستوى الثاني: مستوى مصداقية هذه الرواية أقل من سابقتها، ويرويها ابن بشر بصيغة (ذكر لي)، أو (ذكر لنا)، أو (تواتر أن) دون ذكر مصدر الخبر أو تسميته، ومن أمثلة ذلك ماجاء في حوادث سنة ١٢١١هـ/١٧٩٦م عن ثويني بن عبدالله: «ذكر لي أنهم قالوا للشيخ ادع الله على ثويني، فقال: قطع الله رزقه ...»[٥].

وكذلك عندما تحدث عن قطع الشيخ محمد بن عبدالوهاب للشجرة التي يعظمها أهل العيينة، فيقول: «ذكر لي أن الشيخ خرج إليها بنفسه فقطعها»[٦].

---

(١) ابن بشر، عنوان المجد، ج ١، ص ٢٧٤.

(٢) المصدر والصفحة نفسها.

(٣) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٤٧.

(٤) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٨٨.

(٥) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٢٧.

(٦) المصدر نفسه، ج ١، ص ٣٩.

وفي وصف حال الشيخ في أثناء توجهه من العيينة إلى الدرعية يقول: «ذكر لي أنه في طريقه لا يفتر لسانه من قول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ...»[١].

وأيضاً في أثناء الحصار الذي فرض على بريدة سنة ١١٩٦هـ/١٧٨٢م قال: «وذكر لي أن حجيلان تزوج في آخر الحصار ...»[٢].

المستوى الثالث: في هذا النوع من الروايات الشفوية ترد فيها عبارات مثل: (قيل إنه)، أو (حكي أنه)، وهو يوردها بهذه الصيغة؛ لأنه غير متثبت منها ثبتاً تاماً، ومن أمثلة ذلك روايته عن قاتل الإمام عبدالعزيز بن محمد ١٢١٨هـ/١٨٠٣م بقوله: «قتل الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود في مسجد الطريف المعروف في الدرعية، وهو ساجد في أثناء صلاة العصر، مضى عليه رجل قيل إنه كردي من أهل العمادية بلد الأكراد المعروفة ...»[٣]، فابن بشر غير متأكد من نسبة الرجل إلى الأكراد فجاءت روايته بكلمة قيل، ويظهر هذا الشك عندما ينسبه ابن بشر إلى بلد آخر ويضعف مقولة إنه من الأكراد بقوله: «لأن الأكراد ليسوا بأهل رفض، وليس بقلوبهم غل على المسلمين»[٤].

ومن صور هذه الروايات ما جاء في أحداث السنة نفسها بقوله: «حكي أنه أتى حاج من العجم ...»[٥]، فهو يبدؤها بكلمة (حكي أنه)، وهذه الصورة من الروايات تكون أقل مصداقية من غيرها.

---

(١) ابن بشر، عنوان المجد، ج ١، ص ٤٠.

(٢) المصدر نفسه، ج ١، ص ١٤٩.

(٣) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٦٤.

(٤) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٦٦.

(٥) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٦٨.

منهج ابن بشر وأسلوبه:

سلك المؤرخون العرب في كتاباتهم التاريخية عموماً منهجين:

الأول: التأريخ الحولي، أو التأريخ حسب السنين.

والثاني: التأريخ حسب الموضوعات[(١)].

وقد سلك ابن بشر النوع الأول إذ رتب كتابه باستعمال طريقة الحوليات، فقد أرّخ للأحداث سنة بعد سنة، فكانت الحوادث تجمع في كل سنة ويربط بينها بكلمة وفيها[(٢)]، وإذا انتهت حوادث السنة الواحدة انتقل إلى حوادث السنة التالية مستعملاً جملة «ثم دخلت سنة كذا»[(٣)].

ويعيب هذا النوع من الكتابة التاريخية أنه يخل بوحدة الحادثة التاريخية الطويلة التي تتواصل وتمتد في أكثر من سنة، فلا يذكر منها المؤرخ إلا ما يقع في السنة التي يتحدث عنها، ويكمل أحداثها في السنة اللاحقة بعد أن يكون فصلها بأحداث أخرى؛ وهذا يؤثر في سياق الحادثة التاريخية[(٤)].

وقد وقع هذا النقص في كتاب ابن بشر (عنوان المجد)، فنجده مثلاً في حوادث سنة ١٢٠١هـ/١٧٨٦م يتحدث عن مسير ثويني بن عبدالله إلى القصيم ومنها إلى البصرة، فيختم حديثه بقوله: «وسيأتي إتمام هذه الحكاية بعد هذه السنة إن شاء الله تعالى»[(٥)]. وبعد إيراده لبعض الحوادث يقول: «ثم دخلت السنة الثانية بعد المئتين والألف، رجعنا إلى باقي قصة ثويني بعد توليه على البصرة»[(٦)]، ويختم ما

---

(١) سالم، السيد عبدالعزيز، التاريخ والمؤرخون العرب، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨١م، ص ٨٢.

(٢) انظر مثلاً ابن بشر، عنوان المجد، ج ١، ص ٦٤، ٧٥، ١٤٣، ج ٢، ص ٥٩، ٣٢٣.

(٣) انظر مثلاً المصدر نفسه، ج ١، ص ٨٣، ٨٦، ٢٦٤، ج ٢، ص ٧٩، ١٨٠.

(٤) سالم، التاريخ والمؤرخون، ص ٨٣.

(٥) ابن بشر، عنوان المجد، ج ١، ص ١٦٠.

(٦) المصدر والصفحة نفسها.

يتعلق بثويني بن عبدالله في حوادث هذه السنة بقوله: «وسيأتي أخذ سعود لثويني وعربانه بعد خروجه هذا في السنة بعد هذه إن شاء الله تعالى»[١]. ويكمل هذه الأحداث بعد صفحات عدة بقوله: «ثم دخلت السنة الثالثة بعد المئتين والألف، وفيها سار سعود بن عبدالعزيز بالجيوش المؤيدة المنصورة من حاضرة نجد وباديتها، وقصد جهة الشمال فوافق ثويني في ديرة بني خالد»[٢]. وفي أحداث سنة ١٢١١هـ/ ١٧٩٦م يقول: «رجعنا إلى قصة ثويني، ولما استقر ثويني في ...»[٣].

وكان ابن بشر قد قسم كتابه إلى جزأين - كما وصل إلينا - يتضمن الجزء الأول الأحداث الواقعة بين عامي ١١٥٧هـ/١٧٤٤م، و١٢٢٧هـ/١٨٢٢م، ويبدأ الجزء الثاني من عام ١٢٢٨هـ/١٨٢٢م حتى عام ١٢٦٧هـ/١٨٥١م[٤].

وبهذا التقسيم الزمني نجد أن الجزء الأول شمل جميع أحداث الدولة السعودية الأولى، إضافة إلى أربع سنوات لاحقة عاشت إبانها نجد زمن اضطراب بسبب سقوط الدرعية عام ١٢٣٣هـ/١٨١٨م، وبذلك اشتمل هذا الجزء على أحداث ثمانين سنة.

أما الجزء الثاني فقد ضم الأحداث ابتداء من جهود الإمام تركي بن عبدالله لإعادة الدولة السعودية عام ١٢٣٨هـ/١٨٢٢م، حتى عام ١٢٦٧هـ/١٨٥١م في عهد الإمام فيصل بن تركي. وبذلك اشتمل هذا الجزء على أحداث مرحلة تقارب الثلاثين عاماً، أي: إنه أقل من نصف المدة الزمنية التي احتواها الجزء الأول.

ويتضح من هذا التقسيم أن ابن بشر رأى فصل الأحداث، فتوقف في الجزء الأول عند سنة ١٢٣٧هـ/١٨٢٢م، وبدأ الجزء الثاني من الكتاب من سنة ١٢٣٨هـ/

(١) ابن بشر، عنوان المجد، ج ١، ص ١٦١.
(٢) المصدر نفسه، ج ١، ص ١٦٧.
(٣) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٢٥.
(٤) المصدر نفسه، ج ١، ص ٤١، ٤٦٠، ج ٢، ص ٢٤، ٢٩١

١٨٢٢م، لكونها ابتداء دولة الإمام تركي بن عبدالله، وختم هذا الجزء بعام ١٢٦٧هـ /١٨٥١م، دون سبب واضح للتوقف في هذه السنة[١].

فنجده يسوّغ اتخاذه سنة ١٢٣٨هـ/ ١٨٢٢م ابتداء للجزء الثاني قائلاً: «تلك السنة [١٢٣٨هـ] ناسب أن نجعل مبتدأ هذا الجزء من الكتاب على أول دولته وولايته [الإمام تركي]»[٢].

ولم يذكر سبباً لاتخاذ سنة ١٢٦٧هـ/١٨٥٠م نهاية لهذا الجزء فيكتفي بقوله: «وينتهي إلى ولاية ابنه الإمام الهمام فيصل بن تركي وما تخلل سني ولايته مما جرت به المقادير»[٣].

ومما تميز به كتاب ابن بشر ذكره أحداثاً - حصلت في نجد أو خارجها -سابقة للمدة الزمنية لكتابه، وقد أوردها بعنوان (سابقة)، وبثها في تضاعيف الكتاب متفرقة بين السنوات[٤]، وتبدأ بذكر ما وقع في نجد من الحوادث من منتصف القرن التاسع الهجري إلى نهاية سنة ١١٥٦هـ/١٧٤٣م[٥]. ويسوّغ ذكرها بالكتاب قائلاً إنها: «لا تخلو من فائدة في معرفة بعض الحوادث والأماكن وسني الجدب والخصب... فلا رأيت أن أتركها»[٦]، ويعزو عدم تصدرها للكتاب والبدء بها على الرغم من أقدميتها بقوله: «لأن السنين التي بعدها هي التي لأجلها وضع الكتاب، ووقع عليها الخطاب، وتطاولت لها الأعناق، وكثر البحث عنها والاشتياق، فهي أحق بالتقديم لفضلها وفضل أهلها»[٧].

---

(١) ابن عيسى، إبراهيم بن صالح، عقد الدرر فيما وقع في نجد من الحوادث في آخر القرن الثالث عشر وأول الرابع عشر، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مئة عام على تأسيس المملكة، الرياض، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، ص ١١.

(٢) ابن بشر، عنوان المجد، ج٢، ص٢٤ .

(٣) المصدر والصفحة نفسها.

(٤) المصدر نفسه، ج ١، ص ٣١.

(٥) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٩٥.

(٦) المصدر نفسه، ج ١، ص ٣٠.

(٧) المصدر والصفحة نفسها.

واتبع ابن بشر في كتابه ما يمكن أن نسميه المنهج (التصويري)، فهو يركز في تصوير الأحداث كما وقعت، ولا يلجأ للتفسير إلا في حالة الضرورة القصوى عندما يشعر بغموض الحدث أمام القارئ، فيعطيه الخلفية الضرورية لفهمه.

وتصوير الأحداث هو المادة (الخام) للتاريخ، أو الواقع الفعلي له، ويقوم عليه التفسير التاريخي للأحداث بعد ذلك. والمنهج التصويري يعبر بالضرورة عن الأمانة؛ لأنه نقل للواقع المشاهَد، فهو يقول مثلاً في حوادث سنة ١٢٦٥هـ/١٨٤٨م: «جئت للسلام على الإمام فيصل، وكان وصولي إلى مخيمه بعد صلاة العصر، وإذا بالناس مجتمعون في السرادق الكبير للدرس»[١].

والعبارة السابقة توحي لنا بكثير من المعاني الكامنة بين السطور والكلمات!

أول هذه المعاني سعي ابن بشر إلى الحضور داخل الأحداث، وكأنه محقق صحفي لا يألو جهداً في جمع الحقائق.

ومن هذه المعاني سهولة لقائه بالإمام فيصل، وهو ما يدل على تواضع حكام الدولة السعودية وتقديرهم للعلماء من ناحية، ومكانة ابن بشر العلمية من ناحية أخرى.

ومن هذه المعاني أيضاً حرص الحكام والعلماء على أداء صلاة الجماعة بين الرعية؛ ليكونوا مثلاً وقدوة، واهتمامهم بمجالس العلم.

وتحدث المشكلة عندما يضطر المؤرخ لتصوير الأحداث البعيدة منه مكاناً أو زماناً بلسان شخص رآها، وهنا يوضح ابن بشر منهجه قائلاً: «وأخذت صفة الوقائع والمواضع من أفواه رجال شاهدوها، وما لم يدركوه منها فعمن شاهدها نقلوها، وبذلت جهدي في تحري الصدق، ولم أكتب إلا ما يقع في ظني أنه الحق، من قول

(١) ابن بشر، عنوان المجد، ج ٢، ص ٢٥٦.

ثقة يغلب على الظن صدقه عن صفة الوقائع ومواضعها وغير ذلك ...»[١].

ونرى التزام ابن بشر هذا المنهج فنجده يقول بخصوص أحداث حصار الدرعية عام ١٢٣٣هـ/١٨١٧م: «فرأيت أن أكتب بعضها، فسألت عنها رجالاً حضروها وشاهدوها، فلم يتفق اثنان على قول واحد، وصرت متحيراً من هذا الاختلاف الزائد، ثم تبين لي وجه الأمر... فلما علمت أني لم أدرك أن أذكر كل وقعة على حقيقتها، وخفت من الزيادة والنقصان أعرضت عن ذكر صفة الوقعات إلا يسيراً منها»[٢].

من الأقوال السابقة وغيرها يتضح أن ابن بشر يعلم واجبه بصفته مؤرّخاً، ويبذل جهده في الوصول إلى الحقائق في عصر لم تتوافر فيه وسائل التوثيق التي ننعم بها الآن.

ومع هذا الحرص الشديد في تمحيص الروايات فإن كتابه لم يخل من بعض الأخبار العجيبة، وخير مثال لهذه الأخبار: «وفي سنة خمس وتسعين وألف، ولدت امرأة من العرب في جهة الشبيكة من مكة المشرفة كلباً، فخافوا الفضيحة وقتلوه»[٣].

والعجيب في رأيي ليس الخبر نفسه، بل وروده في كتاب ابن بشر دون تعليق منه! فهل أحس بغرابته فلم يجد تعليقاً؟ أو أراد أن يعرض لنا نموذجاً من الروايات التاريخية قبل عصره ؟ أو أنه كان مهتماً بإثراء كتابه بكل طريف وعجيب؟ أعتقد أن هذه الأسئلة كلها تصلح أن تكون جواباً شافياً.

(١) ابن بشر، عنوان المجد، ج ١، ص ٣٠.

(٢) المصدر نفسه، ج ١، ص ٤٠٨.

(٣) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٣٣٧.

الشيء المهم في هذا الموضوع أن ابن بشر ليس مصدر هذا الخبر، ولم يظهر أنه يصدقه، وفي المقابل فإنه لم ينكره؛ لأنه لا يملك فرصة للتحقق من صحته، فاختار أن يرويه دون تعليق حتى يحافظ على أمانة الرواية شكلاً، وإن كان المضمون سينقد.

ملامح عامة من كتاب عنوان المجد:

اتسم كتاب عنوان المجد بسمات عامة جاءت على النحو الآتي:

١- استشهاد ابن بشر بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية، ولا غرابة في ذلك فثقافته الخاصة المتمثلة في حفظ القرآن الكريم وإلمامه بالعلوم الشرعية ظهرت في كتابته، وهي تمثل نظرته إلى القرآن الكريم، وأنه الأساس الذي تبنى عليه كل العلوم وتفسر منه كل مظاهر الحياة، فنجده يستشهد بالآيات الكريمات والأحاديث الشريفة في أكثر من موضع، وأكثر من مناسبة.

ومن ذلك استشهاده بقوله تعالى: ﴿ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾[١] (آل عمران،١٦٠).

وقد استشهد بهذه الآية على إثر الانتصار الحاسم للإمام تركي بن عبدالله وابنه فيصل في معركة السبية عام ١٢٤٥هـ/١٨٢٠م على بني خالد، مع أنهم كانوا «في أعظم عدد وعدة، وقوة هائلة وشدة»[٢].

وعندما حدث الوباء الذي عم كثيراً من البلاد ومنها الجزيرة العربية عام ١٢٣٦هـ/١٨٢٠م، وفني بسببه كثير من الناس[٣]، استشهد ابن بشر بقول النبي ﷺ:

(١) ابن بشر، عنوان المجد،، ج ٢، ص ٧٤.

(٢) المصدر والصفحة نفسها.

(٣) المصدر نفسه، ج ١، ص ٤٥٩.

(اعْدُد ستاً بَيْنَ يَدَي السَّاعَةِ مَوْتِي، ثُمَّ فَتْحُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، ثُمَّ مُوتَانٌ يَأْخُذُ فِيكُمْ كَقُعَاصِ الْغَنَمِ، ثُمَّ اسْتِفَاضَةُ الْمَالِ حَتَّى يُعْطَى الرَّجُلُ مِئَةَ دِينَارٍ فَيَظَلُّ سَاخِطاً، ثُمَّ فِتْنَةٌ لا يَبْقَى بَيْتٌ مِنَ الْعَرَبِ إلا دَخَلَتْهُ، ثُمَّ هُدْنَةٌ تَكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ بَنِي الأصفر فَيَغْدِرُونَ فَيَأْتُونَكُمْ تَحْتَ ثَمَانِينَ غَايَةً تَحْتَ كُلِّ غَايَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفاً)[١].

ويظهر استشهاد ابن بشر بكثير من الآيات القرآنية الحسَّ الديني لديه، وفي واقع الأمر لم يكن ليستطيع إغفال هذا الاهتمام في كثرة استشهاده بالقرآن الكريم، وهو يؤرخ لدعوة ترفع القرآن الكريم شعاراً لها، ويا لها من دعوة قامت عليها دولة!

٢- تضمن كتاب (عنوان المجد) تراجم وسيراً لكثير من العلماء، إضافة إلى بعض المراسلات التي جرت بين بعضهم وبين ابن بشر.

وعلى رأس العلماء الذين ترجم ابن بشر لهم الشيخ محمد بن عبدالوهاب، فقد خصه بترجمة مطولة عند ذكر وفاته عام ١٢٠٦هـ ذكر فيها نسبه ونشأته وجهوده في الدعوة ومجالس العلم والتدريس التي يقيمها، ومصنفاته ومشايخه وتلاميذه وأبناءه وكثيراً من أحواله[٢]. ولا غرابة في توسع ابن بشر في ترجمة الشيخ «محمد بن عبدالوهاب وكتابه يؤرّخ لدعوته.

وأورد ابن بشر ترجمة لكثير من العلماء مثل الشيخ محمد حياة السندي[٣]، والشيخ محمد بن إسماعيل الصنعاني[٤]، والشيخ حسين ابن الشيخ محمد بن

(١) ابن بشر، عنوان المجد، الصفحة نفسها.
(٢) المصدر نفسه، ج ١، ص ١٨٠- ١٩٩.
(٣) المصدر نفسه، ج ١، ص ٦٤.
(٤) المصدر نفسه، ج ١، ص ١٠٦- ١١٢.

عبدالوهاب[١]، والشيخ حسين بن غنّام[٢]، والشيخ حمد ابن ناصر بن معمر[٣]، وختم الجزء الأول من كتابه بترجمة مطولة لقاضي الوشم الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله الحصيّن[٤].

وفي الجزء الثاني من كتابه ترجم لبعض العلماء، ومنهم الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب[٥]، وأيضاً الشيخ عثمان بن عبدالجبار، وابنه القاضي عبدالعزيز[٦]، والشيخ القاضي محمد بن مقرن بن سند[٧].

وكان ابن بشر دائم الثناء على العلماء، ومن ذلك وصفه للشيخ سليمان بن عبدالله» ابن الشيخ محمد بن عبدالوهاب عند وفاته بقوله عنه: «وكان رحمة الله تعالى آية في العلم»[٨]. وأيضاً وصفه لقاضي الوشم عبدالعزيز الحصيّن بقوله: «كان رحمه الله تعالى عالماً عاملاً زاهداً ورعاً حليماً لا ينتصر لنفسه محبباً إلى الناس»[٩].

وحرص ابن بشر على تضمين الجزء الثاني من كتابه كثيراً من المراسلات الشخصية التي دارت بينه وبين العلماء، ومن أمثلة ذلك رسالة الشيخ محمد بن إبراهيم بن سيف التي أرسلها لابن بشر، ووصف فيها وصفاً دقيقاً حادثة مقتل

---

(١) ابن بشر، عنوان المجد، ج ١، ص ٢٩٩- ٣٠٠.
(٢) المصدر نفسه، ج ١، ص ٣١٠- ٣١١.
(٣) المصدر نفسه، ج ١، ص ٣١٦- ٣١٧.
(٤) المصدر نفسه، ج ١، ص ٤٦٤- ٤٦٨.
(٥) المصدر نفسه، ج ٢١، ص ٤٢- ٤٩
(٦) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٥٥- ٥٨.
(٧) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٨٦ - ٢٨٧.
(٨) المصدر نفسه، ج ١، ص ٤٢٤.
(٩) المصدر نفسه، ج ١، ص ٤٦٤.

مشاري بن عبدالرحمن، وانتصار الإمام فيصل وأخذه بالثأر لوالده[١]، ويورد ابن بشر رده على الرسالة بوصفه لحكم الإمام تركي وإحسانه وعدله في رعيته[٢]. وكذلك الرسائل المتبادلة بينه وبين الشيخ عبدالرحمن بن حسن ابن الشيخ «محمد بن عبدالوهاب[٣].

٣- شعر ابن بشر بأهمية رسائل أئمة الدولة السعودية وخطبهم لبيان سيرتها؛ لذلك حرص على تضمين كتابه شيئاً منها لبيان مدى عظمة هؤلاء الأئمة، ومدى تطبيقهم لتعاليم الدين الحنيف، وإظهار حكمهم العادل بين الرعية[٤].

من ذلك خطبة الإمام تركي عند غدير وثيلان، وفيها ذكّر الأمراء ورؤساء النواحي بنعمة الله عليهم بالاجتماع بعد الفرقة، وحذرهم من ظلم الناس والتعدي عليهم، وهددهم بقوله: «فاعلموا أني لا أبيحكم أن تأخذوا من الرعايا كثيراً ولا قليلاً، فمن حدث منه ظلم أو تعدي على رعيته بغير حق فليس أدبه عزله، بل أجليه عن وطنه بأهله»[٥].

وعند حديث ابن بشر عن مقتل الإمام تركي بن عبدالله عام ١٢٤٩هـ/١٨٣٤م أورد إحدى رسائل الإمام لرعيته التي تضمنت آيات وأحاديث ونصائح وفوائد، وقد علّل ابن بشر ذكرها بقوله: «وقد رأيت أن أورد رسالة من مراسلاته لرعيته المتضمنة للنصيحة؛ ليعلم من سمعها أنه من الداعين إلى الله المجاهدين في سبيل الله»[٦].

---

(١) ابن بشر، عنوان المجد، ج ٢، ص ١٠٤- ١٠٦.

(٢) المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٠٦- ١٠٩.

(٣) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٤٧.

(٤) أبو قايد، عثمان بن بشر، ص ١٧٠- ١٧١.

(٥) ابن بشر، عنوان المجد، ج ٢، ص ٨٨- ٨٩.

(٦) المصدر نفسه، ج ٢، ص ١١٣.

وقد ذكر ابن بشر رسالة الإمام فيصل بن تركي عند توليه الحكم للأمراء ورؤساء المناطق التي يوصيهم فيها بتقوى الله تعالى وإقامة شريعته والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[١].

وأورد رسالته إلى الأمراء والرعية عام ١٢٥٩هـ/١٨٤٣م بعد عودته إلى الحكم، وفيها قدم نصيحة عامة للمسلمين، وضمنها تعليمات لكيفية تنفيذها[٢].

٤- اعتماد ابن بشر الشعر الفصيح وتجنبه غيره، فقد حفل كتاب (عنوان المجد) بكثير من القصائد والأبيات الشعرية التي أوردها، وتركزت هذه القصائد في مدح الدعوة وأئمتها، وبعضها في رثاء الدرعية بعد تدميرها.

ومن ذلك قصائد للشيخ حسين بن غنام في مدح الشيخ محمد بن عبدالوهاب» والإمامين عبدالعزيز وسعود[٣]. كذلك أورد ابن بشر قصائد من خارج نجد نُظمت في مدح الشيخ محمد ودعوته، مثل: قصيدة الشيخ محمد بن إسماعيل الصنعاني[٤]، وقصيدة السيد عبدالجليل ياسين الشافعي في مدح الإمام فيصل، وتهنئته بمجيئه من مصر[٥].

أما في رثاء الدرعية فقد ذكر ابن بشر قصيدة رحمة بن جابر[٦]، وقصيدة الشيخ عبدالعزيز بن معمر في رثائها بعد هدمها وتدميرها على يد إبراهيم باشا[٧].

والملحوظ أن ابن بشر حرص على ذكر الشعر الفصيح باللغة العربية، وتجنب الشعر العامي أو النبطي. فبعد مقتل الإمام تركي بن عبدالله ذكر ما نصه: «وقد

(١) ابن بشر، عنوان المجد، ج ٢، ص ١٣٠- ١٣١.
(٢) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢١٥- ٢١٩.
(٣) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٢٨- ٢٣٦، ٢٥٦.
(٤) المصدر نفسه، ج ١، ص ١٠٨- ١١٢.
(٥) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٢١- ٢٢٦.
(٦) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٥٣- ٥٤.
(٧) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٦٧- ٦٩.

رثاه - رحمه اللّه - عدد كثير من الشعراء، ولكن ليست على اللفظ العربي، فلا تليق بهذا الكتاب»[١].

ويظهر من هذه العبارة أن ابن بشر ينتقص من القصائد العامية أو النبطية التي لا تكون على اللفظ العربي، إلا أننا نجده يضطر لإيراد أبيات قليلة من الشعر باللفظ العامي لراجح الشريف بعد انهزام الشريف غالب ومبايعته للإمام عبدالعزيز[٢]، وكذلك بيتين باللفظ العامي لحميدان الشويعر في حوادث عام ١١١١هـ/١٦٩٩م[٣].

٥- اعتنى ابن بشر بذكر الأوبئة والكوارث التي حلت في نجد أو خارجها، ومن ذلك الوباء المعروف بـ (أبي دمغة) الذي وقع عام ١١٧٥هـ/١٧٦١م، وكان سبباً في موت بعض العلماء والقضاة في سدير والمجمعة، وهلك بسببه الثمر[٤].

وشهدت المنطقة نفسها وباءً آخر عام ١٢٢٩هـ/١٨١٤م، وحمّى مات فيها خلق كثير خصوصاً في بلدة جلاجل، إذ تجاوز الموتى ستمئة نفس[٥].

وذكر ابن بشر السيول التي نكبت بها بعض المناطق، ومن ذلك سيل عنيزة عام ١١٩٤هـ/١٧٨٠م، الذي دمر منازلها وأهلك زرعها[٦]. وكذلك السيول التي شهدتها بلدان نجد عام ١٢١١هـ/١٧٩٦م، فأغرق بلد الدلم ومحاها، ولم يبق من بيوتها إلا القليل[٧]، ودمر بلدة حريملاء، وهدم الجدران حتى أشرفوا على الهلاك[٨]،

(١) ابن بشر، عنوان المجد، ج ٢، ص ١١٨.
(٢) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٤٤.
(٣) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٣٥٠
(٤) المصدر نفسه، ج ١، ص ٨٨- ٨٩.
(٥) المصدر نفسه، ج ١، ص ٣٦٦.
(٦) المصدر نفسه، ج ١، ص ١٤٠.
(٧) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٣٦.
(٨) المصدر والصفحة نفسها.

وهدمت بسببه بيوت كثيرة في الدرعية والعيينة[١].

وفي المقابل أورد ابن بشر سنوات الغلاء والقحط التي شهدتها نجد وبقية المناطق، كالقحط الذي عم البلاد في أعوام ١٢٢٠هـ/١٨٠٥م[٢]، و١٢٢٢هـ/١٨٠٧م[٣]، و١٢٢٣هـ/١٨٠٨م[٤]. وفي سوابقه يذكر القحط والغلاء الذي شهدته الحجاز عام ١١٣٧هـ/١٧٢٤م حتى «لا يوجد ما يباع وأكلت جيف الحمير»[٥].

أما ما وقع خارج نجد فقد ذكر ابن بشر الطاعون العظيم الذي وقع في بغداد والبصرة وتسبب في موت خلق كثير[٦]، وأيضاً الوباء «الذي عم الدنيا وأفنى الخلائق في جميع الآفاق» عام ١٢٣٦هـ/١٨٢٠م، وكان مبدؤه من الهند[٧].

٦- إيراد ابن بشر كثيراً من الأخبار والأحداث الخارجة عن إطار المكان والزمان، مثل قوله في سابقة عام ١٠٤٨هـ/١٦٣٨م: «سار السلطان مراد بن أحمد بن محمد بن مراد إلى بغداد، وذلك لما استولى عليه العجم وقتلوا فيه العلماء...»[٨]، وكذلك حديثه عن ظهور الشاه إسماعيل ومحاربة السلطان العثماني سليم الأول له[٩].

و مرجع ذلك في رأيي ندرة المصادر من جهة، وحرص ابن بشر على تقديم كل ما يمكنه الوصول إليه تعميماً للفائدة.

---

(١) ابن بشر، عنوان المجد، ج ١، ص ٢٣٦.
(٢) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٨٤- ٢٨٥.
(٣) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٩٣- ٢٩٤.
(٤) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٩٨.
(٥) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٣٦٦.
(٦) المصدر نفسه، ج ١، ص ١٢١.
(٧) المصدر نفسه، ج ١، ص ٤٥٩.
(٨) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٣٢١- ٣٢٢.
(٩) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٣٠٠- ٣٠٢.

٧- اعتناء ابن بشر بوصف المدن ومظاهر الحياة فيها وبعض الظواهر الطبيعية، فلم يقتصر على سرد الوقائع بل اعتنى بهذه المظاهر، فيقول مثلاً في وصف الدرعية في ذروة قوتها: «وكانت هذه البلدة أقوى البلاد، وقوة أهلها وكثرة رجالها وأموالهم لا يحصيه التعداد ... وكانت الدور لا تباع فيها إلا نادراً»[١]، ويقول في وصف السوق «ورأيت موسم الرجال في جانب، وموسم النساء في جانب وما فيه من الذهب والفضة والسلاح والإبل والأغنام، وكثرة ما يتعاطونه من صفقة البيع والشراء ...»[٢].

أما عن الظواهر الطبيعية والفلكية[٣] فقد اعتنى ابن بشر بذكرها مثل: الكسوف والشهب والمذنبات، فيقول مثلاً في حوادث عام ١٢٢٩هـ/ ١٨١٤م: «وفي تاسع وعشرين من رجب كسفت الشمس وقت الضحى كسوفاً لم يعهد، وانطمست بالكلية، وأظلمت الأرض، وطلعت النجوم»[٤]. ويذكر أيضاً عن النجوم والشهب ما رواه في حوادث عام ١٢٤٨هـ/١٨٣٢م فيقول: «وفي ليلة الثلاثاء تاسع عشر من جمادى الآخرة بعدما مضى نصف الليل تطايرت النجوم في السماء كأنها الجراد، وكأنها شعل النار وقدح الزند من جميع جهات السماء كلها شرقاً وغرباً وجنوباً وشمالاً، وصار فيها شهب عظيمة تنقض وتضيء بالأرض، ويبقى موضع الشهاب ساعة لا يزول»[٥].... إلى غير ذلك من الأمثلة[٦]، وهذا ما جعل أحد المؤرخين يصفه بكونه «مؤرخاً فلكياً»[٧].

---

(١) ابن بشر، عنوان المجد، ج ١، ص ٤٣٤- ٤٣٥.

(٢) المصدر نفسه، ج ١، ص ٤٤.

(٣) للتوسع في هذا الموضوع انظر السنيدي، عبدالرحمن، «الوجه الفلكي للمؤرخ النجدي عثمان بن عبدالله بن بشر»، مجلة الدارة، العدد ٤٧، ربيع الآخر ١٤٠٧هـ/ ديسمبر ١٩٨٦م، ص ٨ - ٢٥.

(٤) ابن بشر، عنوان المجد، ج ١، ص ٣٦٦، السنيدي «الوجه الفلكي»، ص١٢.

(٥) ابن بشر، عنوان المجد، ج ٢، ص ٨٦.

(٦) انظر مثلاً ابن بشر، عنوان المجد، ج ١، ص ٢٠٩، ٣٧٩، ج ٢، ص ٨٢، ١٣٩.

(٧) عبدالغني، مؤرخو الجزيرة، ص ٤٥.

ولعل هذا التنوع بين تصوير الأحداث، ووصف البلدان، ورصد الظواهر الطبيعية، يرجع إلى عقلية ابن بشر الموسوعية التي تدل عليها تنوع مؤلفاته كما ذكرنا.

آراء بعض المؤرخين في كتاب (عنوان المجد):

لأهمية كتاب (عنوان المجد)، اعتمد عليه المؤرخون الذين تصدوا للكتابة عن تاريخ الدولة السعودية في دوريها: الأول والثاني، فكان المرجع الأكثر أهمية لهم؛ لذلك سنستعرض آراء بعض من تحدث عن هذا الكتاب، ومنهم الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن البسام إذ أثنى عليه، ووصفه قائلاً: «هو من أنفس وأجمع وأوثق وأعدل ما صنّف من تواريخ نجد»[(١)].

وقال عنه الأديب عبدالله بن خميس: «يعتبر تاريخ الشيخ عثمان بن عبدالله بن بشر عمدة لتاريخ نجد»[(٢)].

أما المؤرّخ حمد الجاسر فمع ثنائه على الكتاب بقوله: «هو خير كتاب ألف في موضوعه»[(٣)]، فإنه أخذ على مؤلفه محاولته إخفاء آثار من سبقه من المؤرخين، فلم يذكر تاريخ ابن غنّام وتاريخ الفاخري على الرغم من كونه نقل عنهم[(٤)]، وإن كان الباحث يرى أن ذلك كان بحسن نية، وليس تعمداً من ابن بشر الذي أغدق المديح والثناء على الشيخ حسين بن غنام.

ويصف مؤلف كتاب (مؤرخو الجزيرة العربية) كتاب ابن بشر بقوله: «فإن أهمية تاريخه لا يمكن إنكارها بأية حال، فهو شاهد عيان يؤرّخ لحركة سلفية دينية كانت مقدمة لإقامة دولة سياسية رسمية»[(٥)].

(١) البسام، علماء نجد، ج ٥، ص ١١٧.
(٢) أبو قايد، عثمان بن بشر، ص ٢٤٢.
(٣) الجاسر، مؤرخو نجد، ص ٨٨٣.
(٤) المرجع نفسه، ص ٨٨٢.
(٥) عبدالغني، مؤرخو الجزيرة، ص ٤٤.

ويصف عبدالرحمن السنيدي كتاب (عنوان المجد فى تاريخ نجد) بأنه: «من أهم وأصدق المصادر القليلة في تاريخ الجزيرة العربية، وبالأخص تاريخ الدولة السعودية الميمونة في دوريها: الأول والثاني... والحق أنه كنز لا يقدر بثمن نفع الله به هذه البلاد، فحفظ كثيراً من ماضيها وكفاحها المشرق»[١].

أما انتقاد بعض المؤرخين ابن بشر لاستعماله السجع في كتابه فنرى أنه لم يستعمل السجع إلا في حالات خاصة، مثل التعبير عن مشاعره فيقول مثلاً: «فإن النفوس لم تزل تتشوق لأخبار الماضين وتتوق لأحوال الولاة المتقدمين والمتأخرين»[٢]. وأيضاً استعمل السجع عند حديثه عن الشيخ محمد بن عبدالوهاب»، فيقول عنه: «قدوة الموحّدين وبقية العلماء المجتهدين وناصر دين سيد المرسلين شيخ مشايخنا المتقدمين...»[٣]. فهذه العبارات ومثلها كثير مشحونة بالمشاعر والأحاسيس؛ لذلك نجده يلتزم السجع الذي يحمل على جناحيه مشاعر الكاتب.

ولنقارن بين العبارات السابقة وبين قوله مثلاً بعد استيلاء جيوش الدولة العثمانية على الدرعية: «وأكثرت العبث العساكر في أسواق الدرعية بالضرب والتسخير لأهلها، فكانوا يجمعون الرجال في الأسواق، ويخرجونهم من الدور، ويحملون على ظهورهم ما تحمله الحيوانات، فيسخرونهم يهدمون البيوت والدكاكين، ويحملون خشبها ويكسرونه ...»[٤]. فهذه العبارة قد خلت تقريباً من السجع، مع ما تحمله كلماتها من مشاعر وإيحاءات؛ لأن الكاتب انشغل بالحدث نفسه، وهو الجانب الموضوعي.

(١) السنيدي، عبدالرحمن، «الوجه الفلكي»، ص٨.

(٢) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٢٥.

(٣) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٧.

(٤) المصدر نفسه، ج ١، ص ٤٢٩.

فالكاتب إذن يلجأ إلى السجع لأداء وظيفة معينة في وقت معين، فهو يستعمله للتعبير عن الجانب الذاتي، وكان السجع ضرورة قبل ظهور الطباعة حتى يسهل التصاق الكلام بذاكرة السامع أو القارئ.

فالسجع كان سمة لأساليب هذه العصور، والعبرة تكون في التكلف من عدمه، والعبارتان السابقتان وغيرهما توضحان أن ابن بشر لم يكن حريصاً على استعمال السجع، ومن ثم فهو طبيعي لعصره.

وهذا ينفي عن الرجل اتهاماً شائعاً بين نقاده، ومن هؤلاء أمين الريحاني الذي قال عن كتاب عنوان المجد: «ولكني وأنا أطالع الكتابين كتابي ابن غنام وابن بشر أسفت لأسلوب مؤلفيهما القديم، ذلك الأسلوب المكلف المسجع الذي لا يحبب مطالعة التاريخ إلى قراء هذا العصر، ووددت لو أن أحد المنشئين العصريين يلخص ابن بشر، أو يعيد كتابة نجد منذ قرن ونصف القرن؛ ليطلع العامة والخاصة على ما جرى في وادي حنيفة من الأمور الدينية والسياسية»[1].

فهذا القول مردود عليه في أكثر من وجه:

- أن ابن بشر كان يكتب لقراء عصره، وليس لقراء عصرنا.
- أن كتاب ابن بشر في عصرنا يعد مصدراً للخاصة، وليس للعامة.
- خطأ الحكم على أسلوب ابن بشر بالتكلف، دون الرجوع إلى أساليب أقرانه، والموازنة بينها.
- وأخيراً فإن من يعيب على ابن بشر استعمال الأسلوب المسجوع كمن يعيب على شعراء الجاهلية بدء معلقاتهم بالبكاء على الأطلال! أو يعيب على فرسانهم استعمال السيف والرمح في القتال بدلاً من الطائرات والصواريخ ! إنها أدوات

(١) الريحاني، أمين، نجد وملحقاتها وسيرة عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل فيصل آل سعود، منشورات الفاخرية، الرياض، ط٥، ١٩٨١م، ص٩.

العصر التي يجيدها أصحابها، ويفهمها معاصروهم.

وقد تنبه إلى هذه الحقيقة الدكتور عبدالعزيز الخويطر، والدكتور عبدالله العثيمين، فالأول وصف استعمال ابن بشر للسجع قائلاً: «وقد لوحظ أنه يلجأ إلى السجع كلما حزبته العاطفة، لسبب أو لآخر، وبقدر ما تكون هذه العاطفة قوية يمعن في السجع، وينصاع لفنونه»[1]، في حين يصف الثاني أسلوب ابن بشر قائلاً: «أما عثمان بن بشر فقد كتب تاريخه بأسلوب سهل، لكنه ضمنه فقرات مسجوعة سجعاً غير متكلف، خاصة حينما يريد أن يبرز صفة من صفات أولئك الذين يكن لهم وداً كبيراً»[2].

(١) الخويطر، عثمان بن بشر، ص١٣٤.

(٢) العثيمين، تاريخ المملكة، ج ١، ص ١٠.

خاتمة

لا أدري لماذا خطر لي، وأنا أتأمل كتاب (عنوان المجد)، أن أقوم برحلة خيالية عبر الزمان والمكان، وبالتحديد إلى (نجد) في عصر ابن بشر، لأتأمل عن كثب البيئة التي عاش فيها وهو يدوّن كتابه !

إنني أتخيله في الفجر وهو يتوضأ للصلاة في المسجد، ثم يحضر مجلساً من مجالس العلم طالباً أو معلماً، ثم يخرج مع الجميع يبحثون عن الرزق الذي كتبه الله لهم إلى أن يعودوا إلى المسجد ظهراً لأداء الصلاة.

وأتخيل ابن بشر وهو يقتطع ساعات من نهاره ليتابع الأحداث، ويسأل من شاهد ما غاب عنه، ويبحث في دأب عن المصادر التاريخية، والروايات المتناثرة؛ ليجمع شتات الروايات والأقوال، ويوازنها في عقله ثم يدونها باعتناء، ويحاول أن ينال قسطاً من الراحة حتى يستعد للعمل في اليوم التالي.

لقد شعرت بالإشفاق على الرجل وأنا أقرأ قوله: «واعلم أيدك الله تعالى أن التصنيف أمر صعب، ولا ينال إلا بكدّ وتعب ... والقلب في أشغال شاغلة، ومقاسات أمور هائلة، وما أنا فيه من طلب المعيشة، وترادف شواغل الهموم، وأشياء يعلمها الحي القيوم»[1] .

وزاد إشفاقي وهو يوضح أسباب تقصيره في ذكر حوادث بعض السنوات؛ بسبب انشغاله ببعض مشاغل الحياة، فيقول: «وأنا أسأل من وقف على ذلك فرأى خللاً أن يصلحه ... لا سيما وقد كنت في أيام تركي في غاية الاشتغال من مكابدة الزمان، وتغيير الأحوال، ومقاسات أمور وأهوال وضيق المعيشة في تلك الأزمان مما يذيب القلوب ويشتت الأذهان، ولم أكتب من سيرته وأخباره وحوادث زمنه وآثاره إلا

---

(١) ابن بشر، عنوان المجد، ج ٢، ص٨.

اليسير، بل فاتني منها الكثير ...»[١].

لقد قضى الرجل حياته لينجز مهمة لم يفرضها أحد عليه، ولم يعده أحد بأجر عليها، ولم يكن باحثاً متفرغاً في جامعة، ولم تتيسر له وسائل اتصالات أو مواصلات حديثة، ولم تكن هناك طباعة أو مكتبات، أو حتى وسائل إعلام يظهر بها، لم يكن لديه سوى إيمانه بما يفعل.

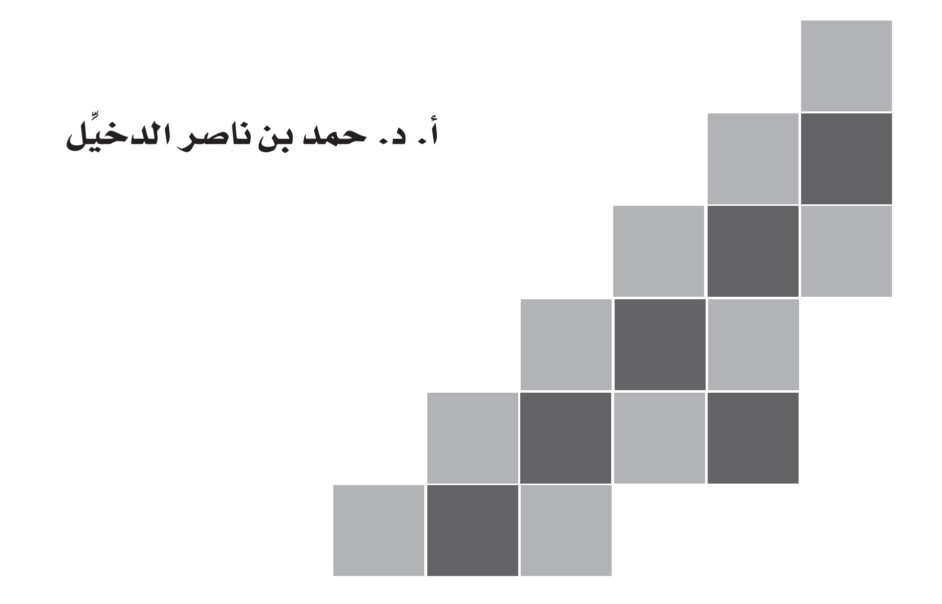
في التاسع عشر من جمادى الآخرة عام ١٢٩٠هـ/١٨٧٣م توفي عثمان بن عبدالله بن بشر في بلدة جلاجل، عن عمر ناهز الثمانين سنة.

رحمه الله، وجعل الجنة مثواه.

(١) ابن بشر، عنوان المجد، ج ٢، ص ٢٤- ٢٥



ابن بشر أديباً



أ. د. حمد بن ناصر الدخيِّل



لمحة عن حياة ابن بشر ومؤلفاته:

عثمان بن عبدالله بن عثمان بن أحمد بن بشر، ينتهي نسبه إلى بني زيد من قضاعة. ولد في بلدة جلاجل إحدى بلدان سدير التابعة لمحافظة المجمعة عام ١٢١٠هـ/ ١٧٩٥م[١]، في عهد الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود (١١٣٢-١٢١٨هـ/ ١٧٢٠ - ١٨٠٣م) الذي يُعد من أبرز حكام الدولة السعودية الأولى (١١٥٧ - ١٢٣٣هـ)[٢]، ونشأ في بلدته، وتوفي أبوه عام ١٢١٥هـ[٣]، وتلقى على مشايخها أو أحدهم مبادئ القراءة والكتابة، وقرأ القرآن الكريم نظراً على الطريقة المأثورة في تعليم الصبية في نجد آنذاك. ثم حفظ القرآن عن ظهر قلب، ولا نعلم شيئاً عن معلميه الأوائل الذين أخذ عنهم مبادئ العلوم في بلدته التي أمضى فيها شطراً من صباه قبل أن يشد رحاله إلى الدرعية عام ١٢٢٤هـ؛ للتزود من العلم الشرعي واللغوي، ولاسيما علم النحو.

كانت الدرعية تعيش عهداً من الاستقرار والازدهار والنمو العلمي والاقتصادي، تحفل بالحلقات والمجالس العلمية التي يحييها ويدرس فيها بعض أبناء الشيخ محمد بن عبدالوهاب وطلابه، وكانت تدرس فيها سائر العلوم الشرعية، ويفد إلى هذه المجالس والحلقات طلاب العلم من بلدان نجد، والأحساء، وعُمَان، واليمن، وغيرها من البلدان. وحافظت الدرعية على تميزها ومكانتها العلمية حتى عدا عليها

---

(١) خزانة التواريخ النجدية: ٦/٧.

(٢) انظر في ذلك: الدولة السعودية الأولى، د. عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم، وتاريخ البلاد العربية السعودية، الدولة السعودية الأولى، الجزء الثاني عهد الإمام عبدالعزيز بن محمد.

(٣) خزانة التواريخ النجدية: ٦/٧.

إبراهيم باشا (١٢٠٤ - ١٢٦٤هـ/ ١٧٩٠ - ١٨٤٨م) وخربها بتدبير من أبيه وأمر من السلطان العثماني عام ١٢٣٣هـ/ ١٨١٨م[١].

وممن تلمذ له في الدرعية الشيخ إبراهيم بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب، قرأ عليه كتاب: التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، عام ١٢٢٤هـ[٢]. والكتاب من أشهر مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وشرح مرات عدة، ومن مشايخه أيضاً الذين تولوا القضاء في منطقة سدير:

١ - الشيخ علي بن يحيى بن مساعد، قاضي الإمام سعود بن عبدالعزيز على سدير.

٢ - الشيخ إبراهيم بن سيف، قاضي الإمام عبدالله بن سعود في سدير، ثم قاضي الإمام تركي بن عبدالله في الرياض.

٣ - الشيخ عثمان بن عبدالعزيز بن منصور، قاضي بلدة جلاجل زمن تركي بن عبدالله، ثم كان قاضياً في جميع نواحي سدير لابنه فيصل[٣].

وهؤلاء المشايخ تلقى عليهم العلم في سدير بعد عودته من الدرعية.

وتذكر بعض المراجع[٤] أنه رحل إلى البصرة، واشترى فيها بعض العقار، وعاد إلى بلدته في نجد، وخَلّف على عقاره ابنه عبدالمحسن المتوفى في الزبير عام ١٣٢٥هـ، وهي رواية مرجوحة.

والرواية التي أميل إلى صحتها ما ذكره حفيد ابنه أحمد الشيخ عبدالله بن عثمان بن أحمد بن عثمان بن بشر المتوفى يوم الأربعاء ١٤٣٤/٩/٩هـ، في رسالة بعث بها

(١) انظر الجزء الرابع من تاريخ الدولة العربية السعودية، الدولة السعودية الأولى، عهد الإمام عبدالله بن سعود.

(٢) علماء نجد خلال ستة قرون: ص ٧٠٠.

(٣) عنوان المجد: ١/٤٦٦ - ٤٦٨.

(٤) علماء نجد: ص ٧٠٣، وروضة الناظرين: ٢/٨٤.

إلى الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن البسام يثبت فيها أن الذي رحل إلى البصرة أخٌ له لم يذكر اسمه؛ يقول[1]: «وكان له أخ قد انتقل من نجد إلى جهة البصرة والزبير كعادة أهل نجد سابقاً، ورزقه الله، وصار له أملاك ونخيل، ثم توفي، ولم يخلِّف ذرية، وورثه أخوه الشيخ عثمان بن عبدالله، وفي بعض السنين ارتحل عبدالمحسن وناصر أبناء (ابنا) الشيخ عثمان المذكور من عند أبيهما في جلاجل، قاصدين البصرة التي فيها عقارات والدهم الموروثة من أخيه، وسكنا بلدة الزبير، وصارا من جملة سكانها، وهذا - والله أعلم - أنه قبل عام ١٢٨٠هـ ألف ومئتين وثمانين، وبقيا هناك حتى توفيا. ولا زال بقايا ذريتهما في بلدة الزبير حتى الآن، وأكثرهم عادوا إلى نجد، ويوجدون الآن في مدينة الرياض».

ولدراسته العلوم الشرعية كان من الممكن أن يصبح عالماً من علماء الشريعة، يتولى القضاء، أو غيره من الوظائف الدينية، ولكنه اتجه إلى التاريخ والأدب وبعض العلوم الأخرى مثل: الفلك والحساب والخيل، وعرف مؤرخاً أكثر من معرفته معتنياً بغيره من العلوم بكتابه الشهير (عنوان المجد) الذي يعد مصدراً أولياً في تاريخ نجد من عام ٨٥٠هـ/ ١٤٤٦م إلى نهاية حوادث عام ١٢٦٧هـ/ ١٨٥١م. وقد جمع وأوعى زبدة ما ذكره مؤرخو نجد قبله[2]، وأضاف إليه ما شاهده وعاصره.

وفاته:

توفي ابن بشر في بلدته جلاجل في التاسع عشر من شهر جمادى الآخرة عام ١٢٩٠هـ[3]/ ٢٤ أغسطس ١٨٧٣م.

---

(١) الخزانة النجدية: ١٣/٦.

(٢) ما كتبه مؤرخو نجد قبل ابن بشر يعد تواريخ صغيرة مقابلة لعنوان المجد، مثل تاريخ راشد بن خنين، وحسين ابن غنام، ومحمد بن سلوم، وأحمد بن بسام، وأحمد المنقور، وحمد بن لعبون، ومحمد الفاخري، انظر: عثمان ابن بشر: منهجه ومصادره: ٩ - ١٣. وتاريخ ابن ربيعة، وابن يوسف، وابن عباد. انظر: تاريخ ابن عباد: دراسة وتحقيق: د. عبدالله الشبل. مجلة مركز البحوث، الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد الثاني: ص ١٠٥ وما بعدها.

(٣) عقد الدرر: ص ٨.

مؤلفاته:

١ - عنوان المجد في تاريخ نجد، وهو أهم مؤلفاته، وبه عُرف، وشهرته تغني عن الحديث عنه، نشر مرات عدة في مجلدين.

٢ - مرشد الخصائص ومبدي النقائص في الثقلاء والحمقى وغير ذلك. حققه الدكتور حمد بن ناصر الدخيِّل عن نسخة وحيدة بخط المؤلف، ونشرته دارة الملك عبدالعزيز عام ١٤٣١هـ. وهو كتاب في الأدب، وسيأتي الحديث عنه.

٣ - سهيل فيما جاء في ذكر الخيل، في سبع كراريس حققه الدكتور عبدالله بن عبدالرحيم عسيلان، ونشرته دارة الملك عبدالعزيز عام ١٤٣٣هـ. عن نسخ ناقصة وعنوانه يدل على موضوعه.

٤ - الإشارة إلى معرفة منازل السبعة السيارة في أربع كراريس، وهو في علم الفلك ومنازل القمر وبعض النجوم، عثر منه على نسخة خطية مخرومة خرماً يتجاوز نصف المخطوطة. ونشرته دارة الملك عبدالعزيز عام ١٤٣٥هـ.

٥ - فهرس طبقات الحنابلة للحافظ ابن رجب، رتبه على حروف المعجم.

٦ - بغية الحاسب، وهي رسالة في علم الحساب، تضم جداول[١].

ولم يذكر له سوى هذه المؤلفات.

مفهوم الأديب:

قبل الخوض في دراسة ابن بشر الأديب، وسوق الأدلة التي تصنفه أديباً إلى جانب كونه مؤرخاً، لا يختلف فيه اثنان، لابد من تحديد مفهوم الأديب، وما الصفة التي ينبغي أن تتوافر فيمن يزاول عملاً ثقافياً؛ لكي ينعت بأنه أديب.

فللأديب فيما أرى ثلاثة مفاهيم:

(١) انظر ذكر مؤلفاته في عنوان المجد: ١/٢١.

١ - يطلق هذا اللقب على من أبدع في فن أو أكثر من فنون الأدب، ولذلك يطلق الأديب على الشاعر والروائي والقصصي، وكاتب المقالة، والرسالة الأدبية.

٢ - يلقب به كل من عني بدراسة فنون الأدب دراسة منهجية، أو تخصص في دراسة أحدها أو بعضها.

٣ - يوسم به مَنْ ألف كتاباً أو كتباً عامة في فنون المعرفة والثقافة النظرية، تضم خليطاً وأمشاجاً مما يدخل في حيز الأدب مثل: العقد، ونهاية الأرب للنويري، وصبح الأعشى للقلقشندي.

والمفهوم الأول والثاني ينطبقان على ابن بشر، وسأوضح ذلك فيما بعد من مؤلفاته التي وصلت إلينا، ولاسيما كتابه مرشد الخصائص ومبدي النقائص في الثقلاء والحمقى، ويأتي بعد ذلك كتاباه (عنوان المجد) و(سهيل فيما جاء في ذكر الخيل).

علاقة الأدب بالتاريخ:

عُرِف ابن بشر مؤرخاً قبل أن يعرف أديباً، وعنايته بالتاريخ أحد الأسباب التي دفعته إلى الاعتناء بالأدب، واقتناء بعض مصادره، وقراءتها، والاستشهاد بنصوصه، والكتابة فيه. وقبل أن أشرع في الحديث عن ابن بشر الأديب لابد أن أوضح العلاقة بين الأدب والتاريخ، وهي علاقة وثقى ربما كانت أعمق من صلتهما بأي علم أو فن آخر، فكل واحدٍ منهما يؤدي للآخر وظيفة ثقافية؛ فالنصوص الأدبية من شعر وقصص ورسائل وتوقيعات وحكم وأمثال تحمل قدراً غير يسير من الأخبار والروايات والمعلومات التي تصنف ضمن دائرة التاريخ. والشعر في كثير من نصوصه يعد وثائق تاريخية يعتمد عليها المؤرخ في تدوين الوقائع

والأحداث، بل إن في بعض نصوصه إثباتَ أخبار وأحداث لم تدونها كتب التاريخ المتخصصة، ويمكن أن أمثل بتاريخ الطبري نموذجاً، فقد اعتمد على الشعر في تدوين الحوادث وتفسيرها، ويكوِّن ما أورده الطبري من شعر ديواناً كبيراً. وسار على نهج الطبري المؤرخون بعده، وفي مقدمتهم ابن الأثير في كتابه: الكامل في التاريخ. ويمكن أن نطلق على ذلك اللون من الشعر الشعر التاريخي. ونجد في كتب المؤرخين أشعاراً لا نجدها في كتب الأدب العامة؛ ففيها مادة أدبية لا يستغني عن الرجوع إليها دارس الأدب.

ومن ناحية أخرى أسهمت كتب الأدب العامة مثل: البيان والتبيين، وعيون الأخبار، والعقد، والأغاني، والدر المنثور، والتذكرة الحمدونية في تدوين فيض غزير من أحداث التاريخ، لا نجد معظمها في مصادر التاريخ.

ومن هنا نرى أن العلاقة بينهما علاقة تلازم وتكامل وتقارض، كل منهما يفيد الآخر في مجال تخصصه. ولعلنا من هذا المنطلق ندرك علاقة ابن بشر بالأدب، واعتناءه به، واستشهاده ببعض نصوصه في معظم كتبه.

مكتبته:

مؤلفات ابن بشر تنبئ أنه كان يملك مكتبة متنوعة في بلدته (جلاجل)[١] التي أمضى فيها سنوات حياته، وله فيها منزل كبير سامق مشهور، له بابان، يحتفظ فيه بالمصادر والمراجع التي رجع إليها في إعداد مؤلفاته، غير أن منزله هُدِمَ ضمن هدم المنازل والأحياء القديمة؛ لتخطط من جديد، وتقام عليها أبنية حديثة. وكان ينبغي المحافظة على هذا الأثر التاريخي، وترميمه وتحويله إلى معلم أثري تفتخر به مدينة جلاجل خاصة، ومنطقة سدير والمملكة عامةً. ولم يبق سوى صورة له[٢].

(١) انظر الملحق في نهاية البحث.

(٢) انظر صورته في كتاب: جلاجل، د. إبراهيم بن سليمان الأحيدب، ص ١٠٢.

الأدب في آثار ابن بشر:

لم يؤثر عن ابن بشر أنه قال شعراً، أو خَلَّف إنتاجاً إبداعياً في فن من فنون الأدب المعروفة مثل: الخطابة، والوصية، والحِكَم، والقصة، ما عدا رسالة إخوانية ذات طابع أدبي أجاب بها أحد إخوانه، وسأثبتها في مكانها من البحث، يضاف إلى ذلك غلبة الصياغة الأدبية في مواضع من آثاره. ولم يؤثر عنه أنه درس فناً من فنون الأدب، ومثل هذه الدراسة مقصورة على الأدب الحديث.

وعدم إنتاجه في هذين الحقلين لا يغض من مكانته، ولا ينزل من قيمته؛ لأن الإبداع الأدبي موهبة من الله يزكيها الدرس والقراءة والحفظ، وهذه الأمور الثلاثة لا تنشئ نبتة الموهبة، ولا تغرس شجرتها؛ لأنها استعداد فطري. ولا يضيره إن لم يكن هذا الفن أو ذاك من اعتنائه؛ فقد اتجه إلى علم رآه يواجه فراغاً وعزوفاً، هو علم التاريخ، شاهد حوادث تقع، وأخباراً تترى، ومعارك تشب، وأموالاً تسلب، وتنافساً على السلطة والنفوذ بين بلدان صغيرة متجاورة، ورأى أنها تمر دون تدوين، والناس يتحدثون بها في مجالسهم، متعة للسمار، وتسلية وترويحاً عن النفس، وملءاً للفراغ. واطلع على ما دونه سابقوه من المؤرخين من حوادث مجتمعه وأخبار عصره، فلم يجد سوى اختصار مخل في رواية ما وقع، وقصور في تدوين ما يجب أن يدون من حوادث وأخبار ووقائع مهمة، فيها درس وعبرة وموعظة لجيل الحاضر وجيل المستقبل. قرأ تواريخ قصيرة لا تَنْقَعُ غُلَّةَ[1] الصادي، ولا تشبع نهم القارئ، ولا تغني عن تطلع النفس إلى المعرفة، فنزع عن قوسه، وأقبل على تدوين كتاب سَدَّ به عجزاً كبيراً، وفراغاً واسعاً هو كتابه (عنوان المجد في تاريخ نجد)؛ فاستحق به أن يلقب بعمدة مؤرخي نجد.

(١) الغُلّ والغُلَّة والغَلِيل: حرارة العطش. الصادي: العطشان.

وهذا التاريخ في قيمته وتفرده في تدوين الأخبار والوقائع والأحداث أفضل في ميزان المعرفة من ديوان شعر يبدعه شاعر، أو دراسة أدبية تكتب عن فن أدبي. ماذا يستفيده المتلقون لو اتجه ابن بشر إلى الشعر، أو إلى غيره من فنون الأدب؟! ستكون الفائدة – لا ريب – محدودة؛ لأنَّ الإبداع الأدبي لغة عاطفة وفيض شعور. والتاريخ يقدم لك المجتمع الإنساني بخيره وشره في حقبة من حقبه تمتد قروناً أو عقوداً كأنك تعيش فيه، وتشاهد ما يحدث من ألوان النشاط الإنساني؛ فهو يعيد حياة أمم، وعصر شعوب ونشاط بشرية، ينقلك إليها من واقعك، كما قال محمد بن يسير الرياشي في صفة الكتب أنها تنبئك عن أخبار الأولين وسير العرب والعجم[1]:

هـم مـؤنـسـون وأُلاَّفٌ غـنـيـتُ بـهـم	**فليس لي فـي أنيـسٍ غيرهـم أَرَبُ**
إن شئتُ من محكمِ الآثـارِ يرفعها	**إلـى الـنـبـيِّ ثِـقَـاتٌ خِـيـرَةٌ نُجُـبُ**
أو شـئـتُ مـن عـربٍ عـلـمـاً بأولـهـم	**فـي الجاهلية أنْبَـتْـنـي بـه الـعـربُ**
أو شئتُ من سيرِ الأملاكِ من عَجَمٍ	**تُـنْـبِـي وتـخـبِـرُ كيف الـرأيُ والأدبُ**
حَـتَّـى كَـأَنِّيَ قـد شـاهـدتُ عصـرهُـمُ	**وقـد مَضَتْ دونَهُمْ من دهرهم حِقَبُ**

فاتجاهه إلى تدوين تاريخ مجتمعه وعصره وما قبله كان في محله، ومعظمه تفرَّد به، فأدى به حاجة قائمة، وحقق ضرورة لم ير غيره قام بها.

وعلى الرغم من استئثار التاريخ باعتنائه، وحشد معظم جهده ووقته لتدوينه، فقد كانت له مشاركة في الأدب تأليفاً واستشهاداً، لا ترقى إلى مستوى مشاركته الفاعلة في تسجيل التاريخ، وإن بلغ حجمها وتنوعها ما يستحق به أن يطلق عليه

(١) الحيوان: ١/٩٥.من أبيات تتكون من ثمانية عشر بيتاً.

لقب (أديب). وأرى أن عنايته بالأدب تأتي في المرتبة الثانية بعد عنايته بالتاريخ.

ويشير ابن بشر في ثنايا مؤلفاته إلى بعض المصادر التي رجع إليها، وأفاد منها في إعدادها، وهي كتب في العلوم الدينية، والتاريخ، والأدب، وعلم الفلك، والخيل، والحساب، وربما كانت جميعها مخطوطات، أو كان اليسير منها مطبوعاً؛ لأن الطباعة عرفت في أوروبا منذ منتصف القرن الخامس عشر الميلادي، وعرفت في الشرق قبل وفاة ابن بشر بعقود. وبناء على ما تقدم تعد مكتبته من المكتبات الخاصة المهمة في نجد، ويكفيها أنها أنتجت لنا عنوان المجد.

كتابه في الأدب: مرشد الخصائص:

لابن بشر كتاب وحيد في الأدب خاصة هو (مرشد الخصائص ومبدي النقائص في الثقلاء والحمقى وغير ذلك)، وله مخطوطة واحدة مكتوبة بخطه، احتفظ بها أبناؤه، ثم حَفَدته، وأهدوها إلى خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز عندما كان أميراً لمنطقة الرياض، وأحالها إلى دارة الملك عبدالعزيز؛ لتتولى تحقيقها ونشرها، وتقع المخطوطة في خمس عشرة ورقة، وصفحاتها تسع وعشرون صفحة[1]، ونشرتها الدارة محققة عام ١٤٣١هـ، ويتكون النص المحقق دون الدراسة والفهارس في ثلاث وسبعين صفحة. ووصل إلينا الكتاب كاملاً غير مخروم بخلاف كتبه الأخرى الثلاثة، فجميعها مخرومة، ومنها عنوان المجد الذي يعتقد أن له تكملة.

وبين لنا ابن بشر السبب الذي دعاه إلى تأليف كتابه، وتحضير مادته من كتب الأدب، وليس أبلغ من قوله في مستهل كتابه[2]: «فيقولُ الفقيرُ إلى رحمة ربِّه القديرِ عثمانُ بنُ عبدِاللّهِ بن عثمانَ بن حمد ابنِ بِشْر النجدِيُّ الحَنْبَلِيُّ: إِنَّهُ لما عمَّت البلوى

(١) مرشد الخصائص، دراسة المحقق، ص ٢٩.

(٢) المصدر السابق، ص ٣٧ – ٣٨.

بهذه القهوة المسماة بِالْبُنِّ، وَكَثُرَ اتخاذُها في البيوتِ ومع المسافرين، صارتْ قانوناً لكلِّ أَحَدٍ، واتَّخَذَها الغنيُّ، والفقيرُ، والجليلُ، والحقيرُ.

فلذلك كثُرت مجالسُها، والتزاورُ عليها؛ فكان يَجْلِسُ فيها مَنْ ليسَ من أهلِها، وإذا ظهرَ منها رَجُلٌ دَخَلَ آخرُ، وأكثرُ مَنْ يدخلُ على أهلِها يَلْبَثُ فيها، ويُطِيلُ الجلوسَ من غير حاجةٍ؛ حتى إنه يدخلُ الداخلُ فيها، ويخرجُ الخارجُ منها وهو في مجلِسِه. وكثيرٌ من الناسِ يدخُلُ على أهلها من غير استئذانٍ، فَعُدِمَ فيها الأدبُ، وصَارَ التطفلُ عليها سائغاً من غيرِ سَبَب.

فرأى عندي بعضُ الأصدقاءِ النبلاءِ إشارات في أخبار الثقلاء، فسألني أنْ أكْتُبَهَا له، وأضيفَ على منوالِهِ ما يَتِمُّ به سُؤالُهُ، فكنتُ في تردُّد؛ لعلمي أنِّي لسْتُ أهلاً لذلك، ولا وَصَلْتُ إلى ما هنالك. فلما أَلَحَّ عليَّ وحَتَّمَ، ذكرتُ ما أوردَ السيوطيُّ في الجامعِ الصغير عن النبي ﷺ: «مَنْ قَضَى لأخيه المسلمِ حاجةً كان له من الأجرِ كمن حَجَّ واعْتَمَر»، ثم تمثلتُ بقول الشاعر:

خَلَتِ الدِّيَارُ فَسُدْتُ غيرَ مُسَوِّدِ

فلما نظرتُ في الكتب الأدبياتِ والكلماتِ الحُكْمِيَّاتِ عزمتُ على وَضْع ما طَلَب، وبذلِ الجُهْدِ فيما إليه رَغِبَ، فاستأذنتُ شيخَنا العالمَ الفقيهَ الشيخَ القاضيَ عثمانَ بن عبدالعزيز بن منصور الحُسَيْنيَّ الناصريَّ - متَّعَ الله بحياته، وأفاضَ علينا من بَرَكَاته - أن أضَعَ من تلك المصنفاتِ نبذةً، تكونُ لأهلِ العقولِ منحةً وتُحْفَةً، ويَحْصُلُ للسائلِ مرادهُ، ويرتدعُ من تطفلٍ وثِقَلٍ على عِبَادِهِ؛ فاستخرتُ الله - سبحانه - وانتخبتُ هذه الكراسةَ التي هي للعقلاءِ والنبلاء كالعنقود، وللحمقى والثقلاء كالجلمود، وسميته (مرشد الخصائص ومبدي النقائص) فالله - سبحانه - أسْأَلُهُ

أنْ يَنْفَعَ به أهلَ الفضلِ، وأن يعصِمَنَا من الزَّلَلِ في القولِ والعملِ، وأسألُ مَنْ نَظرَ فيها إقالَة العثرةِ؛ فمن أقالَ عثرة مسلمٍ نوَّر اللّٰه عليه قبرَه».

ويفاد من كلام ابن بشر معلومات مهمة، منها ما يتعلق بالحياة والعادات الاجتماعية في نجد، ومنها معرفة السبب الذي دعاه إلى تأليف كتابه، وكيف استعد له قبل الشروع في تأليفه؛ فقوله يدل على أن القهوة العربية انتشر شربها في نجد في عصره، واعتادها الناس، وأن الحصول عليها لا يتيسر للجميع؛ ولذلك يحرص كثير منهم على حضور المجالس التي يقدم فيها هذا المشروب؛ ليتلذذوا ويستمتعوا وينشطوا بشربها، فليس في استطاعة كل فرد آنذاك أن يقتني القهوة ويقدر على شرائها، فضلاً عن أن يفتح مجلسه – إن كان – له مجلس – ويعد القهوة، ويقدمها لمن يفد إلى مجلسه، وإنما ذلك مقصور على الأغنياء والتجار وكبار رجال البلدة مثل: ابن بشر الذي ورث عن أخيه المتوفى نخيلاً وعقارات في البصرة؛ فضلاً عن صلته الوثقى بالإمام فيصل بن تركي[1]؛ فأصبح فيما أظن من أثرياء بلدته جلاجل، بل من أثرياء منطقة سدير كلها؛ يدلنا على ذلك قصره الكبير الشامخ الذي يتوسط سُرة بلدة جلاجل القديمة، وهو من فتح مجلسه (قهوته)[2] لأبناء بلدته ومن يفد إليه من البلدان المجاورة يستقبلهم، ويكتب لهم وصاياهم ومبايعاتهم، ويقدم لهم شراب القهوة اللذيذ، في وقت لم يكن الشاي معروفاً في نجد، وكان بعضهم يطيل الجلوس أكثر من العادة، فيدخل الداخلون ويخرج الخارجون من المجلس وهو جالس، بل إنَّ منهم من يدخل المجلس دون استئذان. وهذا التصرف نوع من التطفل وقلة الأدب،

---

(١) سهيل فيما جاء في ذكر الخيل، ص ٥٢ وما بعدها.

(٢) كنا نسمي المجلس المخصص في المنزل؛ لاستقبال الضيوف (القهوة)؛ لأنها تعد فيه، وتقدم للجالسين، وكانت هي مشروب الرجال لا الشاي. وأدبيات القهوة لها نصيب كبير من الشعر غير الفصيح.

ومثل ابن بشر رجل علم وتأليف يحرص على ألا يكون وقته مصروفاً في استقبال هؤلاء المتطفلين الثقلاء؛ فكان يشعر بالحرج والضيق، وضياع الوقت، ويتألم لذلك، فحمله ذلك على أن يؤلف هذا الكتاب رغبة منه، وتلبية لطلب أحد أصدقائه الذي وصفه بالنبل من غير أن يذكر اسمه.

ويفيد ابن بشر أنه قبل أن يقدم على تأليف هذه النبذة نظر في الكتب الأدبيات والكلمات الحكميات، يريد بذلك الكتب الأدبية التي تحدثت عن الثقلاء والطفيليين والحمقى، وعقدت فصولاً تضمنت منتخبات من الأشعار والأقوال البليغة الصائبة في هؤلاء الأصناف، ونظر أيضاً في الكتب التي عنيت بتدوين طائفة من أدب الحكمة.

وبعد أن ألم بالموضوع من المصادر التي رجع إليها، وكوّن في ذهنه مادة كتابه، استأذن شيخه وأستاذه عثمان بن عبدالعزيز بن منصور أن يعد هذه النبذة فأذن له وشجعه. ويفهم من استئذانه شيخه الذي يثني عليه كثيراً كلما ذكر اسمه أنه كتبها قبل عام ١٢٨٢هـ، وهو العام الذي توفي فيه شيخه ابن منصور في حوطة سدير في ربيع الأول[١].

موضوعات الكتاب:

تناول الكتاب خمسة موضوعات، هي على الترتيب:

١ - الثقلاء والطفيليون.

٢ - منتخبات من الحكم الأدبية البليغة، والأمثال التي تذهب مذهب الحكمة.

٣ - فصل في الحماقة.

(١) تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد: ص ١٧٦ - ١٧٧.

٤ – خاتمة الفصل في آداب المعاشرة.

٥ – تتمة، وهي خاتمة تتضمن توجيهات دينية وإرشادية.

مصــادر الكتاب:

الموضوعات التي كوّن منها ابن بشر مرشد الخصائص هي التي حددت المصادر والمراجع التي رجع إليها، ونظر فيها، ثم اعتمد عليها في زبر كتابه. وهو أحياناً يشير إلى مصدره، ويوفر على الدارس مؤونة البحث عنه، وأحياناً يتجاوز عن ذكره، والمتابع يستطيع أن يحدده بالنقول والمعلومات التي نقلها أو أفادها منه. ويلحظ القارئ أنه نَوّع في مصادره؛ استجابة لما تضمنه الكتاب من معلومات فرضتها نوعية موضوعاته، فمنها مصادر في التفسير والحديث، وكتب تراجم، ومصادر وكتب في الأدب، والأخيرة لها حضور في الكتاب أكثر من سواها وفقاً لطبيعته وخصوصية موضوعه، فمن الكتب الدينية التي رجع إليها:

١ – تفسير المحب الطبري[١].

٢ – تفسير الخازن المعروف بـ لباب التأويل في معاني التنزيل[٢].

٣ – الجامع الصغير للسيوطي[٣].

٤ – مدارج السالكين، لابن القيم[٤].

٥ – الآداب الشرعية، لابن مفلح، وهو غني بمادته الأدبية المتنوعة من أشعار وحكم وأمثال، وأقوال بليغة، فتصنيفه ضمن كتب الأدب أولى. أفاد منه ابن بشر في

---

(١) مرشد الخصائص، ص ٣٩.

(٢) السابق، ص ٤٠.

(٣) السابق نفسه، ص ٣٧.

(٤) مرشد الخصائص، ص ٦٤.

مواضع عدة[1].

٦ - الرعاية، لابن حمدان[2].

٧ - شرح منتهى الإرادات، لمنصور بن يونس البُهُوتي[3].

ومن كتب التراجم والتاريخ:

١-٢- تاريخ ابن النجار[4]، وتاريخ الحافظ المنذري[5]، وهذان الكتابان لم يرجع إليهما مباشرة، بل رجع إلى رسالة إتحاف النبلاء للسيوطي الذي نقل منهما.

٣- وفيات الأعيان، لابن خلكان، أخذ عنه ترجمة الأعمش وأقواله الطريفة البليغة التي أوردها له ابن خلكان في الثقلاء[6].

ومن كتب التهذيب الخلقي مكارم الأخلاق للخرائطي[7].

استقى ابن بشر من الكتب المتقدمة مادة أدبية في الثقل والتطفل والحمق، والحكم والتوجيهات التربوية والخلقية. ولم يكتف بهذه المصادر في إعداد كتابه بل رجع إلى عددٍ من الكتب والمصادر الأدبية، يأتي في مقدمتها إتحاف النبلاء في أخبار الثقلاء للسيوطي، وهي رسالة أدبية خالصة تتضمن نصوصاً شعرية ونثرية لشعراء وأدباء وبلغاء مشهورين، واعتمد عليها في مواضع كثيرة[8] في مرشد الخصائص، وكان واسطة بينه وبين كتب أدبية أخرى أخذ منها نصوصاً وأقوالاً استقاها السيوطي من تلك الكتب، من أبرزها أمالي أبي بكر محمد بن القاسم

(١) ابن بشر، مرشد الخصائص، ص ٦٣، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٦، ١٠٨.

(٢) المصدر السابق، ص ١٠٩.

(٣) مرشد الخصائص، ص ١٠٩.

(٤) المصدر السابق، ص ٦٥، ٦٧.

(٥) المصدر السابق، ص ٧١.

(٦) المصدر السابق، ص ٤٦ وما بعدها.

(٧) المصدر السابق، ص ٧١.

(٨) المصدر السابق، ص ٣٩ وما بعدها.

الأنباري (ت ٣٢٨هـ)[١]. والعقد الفريد، لابن عبد ربه الأندلسي (ت ٣٢٧هـ)[٢].
ولكن ابن بشر لم يقتصر على ما في رسالة السيوطي من مادة أدبية عن الثقلاء، بل رجع إلى كتب أدبية أخرى؛ إتماماً للموضوع، فرجع مباشرة إلى كتاب (غرر الخصائص الواضحة وعُرَر النقائص الفاضحة، لمحمد بن إبراهيم المعروف بالوطواط (ت ٧١٨هـ)[٣] و(المستطرف في كل فن مستظرف) لشهاب الدين الأبشيهي المحلي (ت ٨٥٠هـ)[٤] وأكثر النقل من هذا الكتاب في مواضع عدة من مرشد الخصائص. والكتابان من محتويات مكتبته[٥].

مادة الكتاب الأدبية:

يُعد كتاب مرشد الخصائص أحد المؤلفات القليلة التي أفردها الأدباء والمؤلفون عن الثقل والثقلاء والتطفل والطفيليين والحمق والحماقة. ويمتاز عما سبقه من مؤلفات في الموضوع بكثرة النصوص الشعرية والنثرية التي عبر بها الأدباء والبلغاء وأصحاب النوادر والطرائف عن هذه الفئات من الناس، يضاف إلى ذلك تذييله بطائفة من الحكم البليغة المختارة من كتب الأدب. بلغت المدونة الشعرية في الكتاب مئة وخمسة وثلاثين بيتاً، لشعراء متعددين عاشوا في عصور مختلفة، في العصر الأموي، والعباسي، والمملوكي، وفي الأندلس وفي عصر المؤلف، وهو مقدار كبير لحجم الكتاب، وبعض الأبيات لم ينسبها المؤلف، وقليل منها لا يعرف قائلها. وأول ما استشهد به صدر بيت لم يعزه إلى قائله، هو (من الكامل):

---

(١) مرشد الخصائص، ص ٧٢.

(٢) المصدر السابق، ص ٣٩.

(٣) المصدر نفسه، ص ٥٨ – ٦١، ٧١.

(٤) المصدر السابق، ص ٨١ وما بعدها.

(٥) من تتبع الباحث للكتب التي ذكرها ابن بشر في مؤلفاته يستطيع أن يحدد بعض ما تحويه مكتبته من كتب دينية وتأريخية وأدبية وغيرها اعتمد عليه في تأليف كتبه.

خَلَتِ الديارُ فَسُدْتُ غيرَ مُسَوَّدِ[١]

وعجزه:

ومن الشقاءِ تَفَرُّدي بالسُّؤدَدِ

والبيت لحارثةَ بن بدر الغُدَاني التميمي اليربوعي من شعراء عصر صدر الإسلام والدولة الأموية، توفي عام: ٦٤هـ. والبيت من محفوظاته؛ فقد ذكره في عنوان المجد[٢].

والشعراء الذين استشهد بشعرهم في وصف الثقلاء كوكبة من المشهورين وغير المشهورين، أذكرهم مرتبين ترتيب ورودهم في الكتاب:

١ - أبو عمرو بن العلاء (ت ١٥٤هـ)[٣].

٢ - ابن شبرمة عبدالله بن شبرمةَ بن حسان الضبي الكوفي (ت ١٤٤هـ)[٤].

٣ - أبو عاصم النبيل الضحاك بن مخلد البصري (ت ٢١٢)[٥].

٤ - دعبل بن علي الخزاعي (ت ٢٤٦هـ)[٦].

٥ - الأعمش أبو محمد سليمان بن مِهْران (ت ١٤٨هـ أو ١٤٧هـ، أو ١٤٩هـ)[٧].

٦ - بشار بن برد (ت ١٦٧هـ)[٨].

٧ - أبو نواس (الحسن بن هانئ) (ت ١٩٨هـ)[٩].

---

(١) ابن بشر، مرشد الخصائص، ص ٣٨.

(٢) عنوان المجد: ٨/٢. ورواية الشطر الثاني فيه (ومن العجيب) بدلاً (ومن الشقاء).

(٣) مرشد الخصائص، ص ٤٩.

(٤) السابق، ص ٤٩ - ٥٠.

(٥) السابق، ص ٥٠.

(٦) مرشد الخصائص، ص ٥٠-٥١.

(٧) السابق، ص ٥٤.

(٨) السابق، ص ٥٤.

(٩) السابق، ص ٥٥ - ٥٦.

٨ - أبو تمام حبيب بن أوس (ت ٢٣١هـ)[١].

٩ - عبدالله بن المعتز (ت ٢٩٦هـ)[٢].

١٠ - أبو علي الحسن بن علي بن أبي الطيب الباخرزي والد مؤلف (دمية القصر وعصرة أهل العصر). ذيل على يتيمة الدهر للثعالبي[٣].

١١ - الصاحب بن عباد (ت ٣٨٥هـ)[٤].

١٢ - حماد الراوية (ت ١٥٥هـ أو ١٦٥هـ أو ١٦٩هـ)[٥].

١٣ - مطيع بن إياس (ت ١٦٧هـ)[٦].

١٤ - نصر بن أحمد الخبز أَرُزِّيّ (ت ٣٢٧هـ أو ٣٣٠هـ)[٧].

١٥ - أبو عمار عبدالله بن خلف[٨].

١٦ - أبو حاتم السجستاني سهل بن محمد بن عثمان (ت ٢٥٥هـ)[٩].

١٧ - العباس بن الأحنف (ت ١٩٢هـ)[١٠].

١٨ - أبو الصلت أمية بن عبدالعزيز الأندلسي الداني (ت ٥٢٩هـ)[١١].

١٩ - أبو الحسن بن أبي بكر الحاج اللُّورَقِيّ الأندلسي (ت بعد ٤٩٤هـ)[١٢].

---

(١) ابن بشر، مرشد الخصائص، ص ٥٧ - ٥٨.

(٢) السابق، ص ٥٨.

(٣) السابق، ص ٦٠ - ٦١.

(٤) السابق، ص ٦١.

(٥) السابق، ص ٦٢.

(٦) السابق، ص ٦٢.

(٧) مرشد الخصائص، ص ٦٦.

(٨) السابق، ص ٦٦.

(٩) السابق، ص ٦٧.

(١٠) السابق، ص ٦٧ - ٦٨.

(١١) السابق، ص ٦٨.

(١٢) السابق، ص ٦٨ - ٦٩.

٢٠ - الشهاب المنصوري أحمد بن محمد بن علي المعروف بابن الهائم (ت ٨٨٧هـ) [١].

٢١ - أبو بكر محمد بن القاسم بن محمد، ابن الأنباري (ت ٣٢٨هـ) [٢].

٢٢ - محمد بن خَلَف بن المرزبان (ت ٣٠٩هـ) مؤلف كتاب (ذم الثقلاء) [٣].

٢٣ - أبو عبدالله محمد بن مَزَّاج الأزدي (ت ٥٤٠هـ) [٤].

٢٤ - ابن عطاء الصِّنهاجي [٥].

٢٥ - دُرُسْت المعلم البغدادي [٦].

٢٦ - عبدالحميد بن الوزير أبو القاسم المغربي [٧].

٢٧ - ابن وكيع التِّنِّيسي أبو محمد الحسن بن علي بن أحمد (ت ٣٩٣هـ) [٨].

٢٨ - البهاء زهير (ت ٦٥٦هـ) [٩].

٢٩ - أبو بكر بن أحمد بن محمد العِنْدِي (ت نحو ٥٨٠هـ) [١٠].

٣٠ - ناصر الدين أبو علي الحسن بن شاور بن طَرْخان ابن النقيب الكناني (ت ٦٨٧هـ) [١١].

---

(١) ابن بشر، مرشد الخصائص، ص ٦٩- ٧٠.

(٢) السابق، ص ٧٢.

(٣) السابق، ص ٧٢.

(٤) مرشد الخصائص، ص ٧٣.

(٥) السابق، ص ٧٣. والصنهاجي: بضم الصاد وكسرها نسبة إلى صنهاجة، وهي وكُتَامة قبيلتان من حمير، دخلتا في عداد البربر. انظر الأنساب للسمعاني (الصنهاجي) ٣/٥٦٠.

(٦) السابق، ص ٧٣.

(٧) السابق، ص ٧٤.

(٨) السابق، ص ٧٥.

(٩) السابق، ص ٧٧، ٧٩ - ٨٠.

(١٠) السابق، ص ٧٨.

(١١) السابق، ص ٧٨ - ٧٩.

٣١ - علي بن عبدالرحمن بن أبي البشر الصقلي البَلُّوني) (ت قبيل عام ٥٠٠هـ)[١].

نسب ابن بشر كثيراً من النصوص الشعرية إلى قائليها، وبعضها نسبها محقق الكتاب، وقليل منها لم يعثر على قائلها. وبعد أن فرغ من موضوع الثقلاء الموضوع الرئيس في الكتاب ذيَّلَهُ بمختارات من الحكم والأمثال والفوائد الأدبية، قال: «ولنختم هذه النبذة بفوائد من الآداب، تكملة للكتاب، وينتفع بها أولو الألباب»[٢].

وتضمن التذييل أربعة أبيات، منها بيتان مجهولا النسبة[٣]، والآخران لعبدالملك ابن صالح بن علي بن عبدالله بن عباس (ت ١٩٦هـ)[٤].

وفي فصل الحماقة استشهد بستة أبيات، منها البيت المشهور الذي لم أعثر على قائله (من البسيط):

لكل داءٍ دواءٌ يُستَطَبُّ به إلاّ الحماقةَ أَعْيَتْ مَنْ يُدَاويها[٥]

وثلاثة أبيات لأستاذه وشيخه عثمان بن عبدالعزيز بن منصور (ت ١٢٨٠هـ)، أولها (من البسيط):

إنَّ الحماقةَ في الخُلّانِ مُهْلِكَةٌ فاحذْر جلوسَكَ عند الأحمقِ الهَذِرِ[٦]

وختم فصل الحماقة ببيتين في فضل العقل، لا يعرف قائلهما[٧]. وفي خاتمة

(١) مرشد الخصائص، ص ٨٠.
(٢) السابق، ص ٨١.
(٣) السابق، ص ٨٢.
(٤) السابق، ص ٨٣.
(٥) السابق، ص ٩٣.
(٦) السابق، ص ٩٤.
(٧) مرشد الخصائص، ص ٩٩.

الفصل، العنوان الذي وضعه ابن بشر أورد بيتين لعلي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت ٤٠هـ)، وينسبان أيضاً لأبي العتاهية (ت ٢١١هـ)، هما (من الهزج):

يُـقَـاسُ المـرءُ بـالمـرءِ إذا مـا هـو مَـاشَـاهُ
ولِـلشـيءِ علـى الشـيءِ مَـقَـايِـيسٌ وأَشْـبَـاهُ[1]

وآخر بيت في الكتاب أثبته غير منسوب، وهو لكثير عزة (ت ١٠٥هـ) (من الطويل):

ومـن لم يُغَمِّضْ عَيْنَهُ عن صديقِه
وعـن بعضِ مـا فيه يَمُـتْ وهـو عَـاتِـبُ[2]

وهذه الأبيات محسوبة ضمن العدد الكلي لمجموع الشعر في الكتاب.

والمادة الأدبية النثرية غزيرة متنوعة، وهي مثل: النصوص الشعرية فيها طرافة وفكاهة، وبلاغة أسلوب، ومقاطع من القول تمتاز بالإيجاز والتركيز. وقد أحسن ابن بشر في اختيارها، وحشدها في كتابه؛ لتكون ملائمة للموضوع، وما قصد إليه من ذمّ الثقلاء والحمقى، وما يسببونه من ضيق وغمٍّ وانحراف مزاج لمن يبتلى بمجالستهم. فمن الأقوال التي ضمها الكتاب:

١ - سُئل جعفر الصادق (ت ١٤٨هـ): هل يكون المؤمنُ بغيضاً؟ قال: لا، ولكن يكون ثقيلاً[3].

٢ - قال جبرائيل بن بختيشوع الطبيب (ت ٢١٣هـ): نجد في كتبنا أن مجالسة

(١) مرشد الخصائص، ص ١٠٤.
(٢) السابق، ص ١٠٥.
(٣) السابق، ص ٤٢.

الثقيل حُمىّ الروح[1].

٣- قال أبو بكر محمد بن زكريا الرازي (ت ٣١٣هـ): مجالسة الثقيل تجلب الأسقام، وتنحل الأجسام، وتورث الأحزان، وتؤلم الأبدان، وتهدم الأركان[2].

٤ - قال الشعبي (ت ١٠٣هـ): مَنْ فاتته ركعتا الفَجْرِ فليلعن الثقلاء[3].

٥ - قيل للأعمش سليمان بن مِهْران (ت ١٤٨هـ): ما عَوَّضَك الله من ذهاب بصرك؟ قال: ألَّا أرى به ثقيلاً[4]: وكان إذا رأى ثقيلاً تلا قوله تعالى: ﴿ رَّبَّنَا ٱكۡشِفۡ عَنَّا ٱلۡعَذَابَ إِنَّا مُؤۡمِنُونَ ﴾[5].

وقال: إذا كان على يسارِك ثقيلٌ في الصلاة، فتسليمةٌ على اليمين تكفيك.

وقال عن رجل ثقيل يجلس إليه: والله إنِّي لأبغضُ شِقِّي الذي يليه إذا جلس إليّ.

وجاءه أصحاب الحديث يوماً ليسمعوا عليه، فخرج إليهم وقال: لولا أنَّ في منزلي مَنْ هو أبغضُ إليّ منكم ما خرجتُ إليكم».

وقال سفيان بن عيينة (ت ١٩٨هـ): كان الأعمشُ يدعُ أصحاب الحديث، ويذهب إلى حائك في جواره استثقالاً منه لهم[6].

٦ - قال الطبيب بختيشوع بن جبريل (ت ٢٥٦هـ) للمأمون: لا تجالس الثقلاء؛ فإن الفلاسفة قالوا: مجالسة الثقيل حمى الروح[7].

٧ - قال الأصمعي (ت ٢١٦هـ) ستة يُنّضين، بل يقتلن: دمدمة الخادم، وبكاء

(١) ابن بشر، مرشد الخصائص، ص ٤٢.
(٢) المصدر السابق، ص ٤٣.
(٣) المصدر السابق، ص ٤٣.
(٤) المصدر السابق، ص ٤٥.
(٥) الآية ١٢ من سورة الدخان، والخبر في مرشد الخصائص، ص ٤٥.
(٦) انظر هذه الأقوال في مرشد الخصائص، ص ٤٦ – ٤٧.
(٧) مرشد الخصائص، ص ٥٢ – ٥٣.

الأطفال، والسراج المظلم، والوَكْفُ من أول الليل إلى آخره، وخلافُ مَنْ تحبه، والنظر إلى الثقيل[١].

٨ - قال المقتدر بالله جعفر بن المعتضد الخليفة العباسي (ت ٣٢٠هـ): من لذات الدنيا النظرُ إلى الوجوه المليحة، وغَيْبةِ الأرواح الثقيلة البغيضة[٢].

٩ - قال أرسطو (ت ٣٢٢ ق.م) للإسكندر (ت ٣٢٣ق.م): إياكَ ومجالسةَ الثقيل؛ فإنَّ منها ذبولَ الروح، وذهولَ العقل، وموتَ القريحة[٣].

١٠ - قال أبو بكر محمد العباس الخوارزمي (ت ٣٨٣هـ): فلانٌ أثقل من موتِ الخُنَاقِ، وكتابِ الطلاق، وفقدِ الحبيب، وطلعةِ الرقيب، ورؤية الموتِ عند الكافر، وقد خَتَم على عمله بالكبائر[٤].

ودعا ابن بشر إلى تعلم الأدب والإقبال عليه، وأورد طائفة من الأقوال تحث على اكتسابه، وحفظ منظومه ومنثوره، منها:

١ - قال بعض الحكماء: العقل يحتاج إلى مادة من الأدب كما تحتاج الأبدانُ إلى قوتها من الطعام[٥].

٢ - قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: الأدب كنز عند الحاجة عونٌ على المروءة[٦].

٣ - قال بعض الحكماء: من كثُرَ أدبه كثر شرفه، وإن كان وضيعاً، وبَعُدَ صيتُهُ وإن كان فقيراً[٧].

(١) ابن بشر، مرشد الخصائص، ص ٥٣.
(٢) المصدر السابق، ص ٧٠.
(٣) المصدر السابق، ص ٧٠.
(٤) مرشد الخصائص، ص ٧٤ - ٧٥.
(٥) المصدر نفسه، ص ٨١.
(٦) المصدر السابق، ص ٨١.
(٧) المصدر السابق، ص ٨١.

٤ - قال الشاعر (من السريع):

لِكلِّ شيء زينةٌ في الورى   وزينةُ المرء تمامُ الأدَبْ
قد يَشْرُفُ المرءُ بآدابِه   فينا، وإنْ كانَ وضيعَ النَّسَبْ[١]

٥ - قيل لسُقراط (ت ٣٩٩ ق.م): ما الفرقُ بَيْنَ مَنْ له أدبٌ وبين مَنْ لا أدبَ له؟ قال: كالفرق بين الحيوان الناطق والذي ليس بناطق. يعني الإنسان، والبهائم[٢].

وساق جملة من الحكم والأمثال والأقوال الموجزة البليغة التي ترشد إلى الخلق الفاضل، والسلوك القويم، والتربية الصحيحة، والعلاقة الحسنة مع أفراد المجتمع، أفادها من المستطرف أحد المصادر الرئيسة التي اعتمد عليها في تأليف مرشد الخصائص. وكل ما أورده يعد من الأدب المنثور.

ملامح الأدب في بقية مؤلفاته:

أشرت فيما سبق إلى أن مؤلفات ابن بشر لم تصل إلينا كلها على الرغم من أن الفاصل الزمني بين عصرنا وعصره ليس طويلاً. ومؤلفاته القليلة التي بين أيدينا مخرومة ما عدا مرشد الخصائص الذي بلغنا كاملاً لم ينقص، فعنوان المجد يغلب على الظن أن له بقيةً تمثل الجزء الثالث الذي يبدأ من سنة ١٢٦٨هـ، وربما أن الجزء المفقود يستوعب تاريخ نجد وأحداثها إلى العقد الأخير من القرن الثالث الهجري. والكتابان الآخران «سهيل فيما جاء في ذكر الخيل»، و«الإشارة في معرفة منازل السبعة السيارة» جاءا ناقصين وقد أشرت إلى ذلك من قبل.

(١) ابن بشر، مرشد الخصائص، ص ٨٢.

(٢) المصدر السابق، ص ٨٢.

عنوان المجد في تاريخ نجد:

سلك ابن بشر في تأليف تاريخه عنوان المجد طريقة المؤرخين القدامى في ترتيب الحوادث والأخبار على السنوات الهجرية كما فعل ابن جرير الطبري، وابن الأثير، وأبو الفداء، وابن الوردي، وابن تغري بردي الأتابكي، وهو منهج سهل يعتمد على سرد الحوادث والأخبار حسب تتابع السنين. واتبع منهج المؤرخين المتأخرين في الاحتفال بالتراجم، وتخصيص مساحة كافية لها في تاريخه كما فعل ابن كثير، في البداية والنهاية وابن العماد الحنبلي في شذرات الذهب. وهذه ميزة حسنة في الكتاب، إذ تضمن معلومات عن المترجم لهم لا نجدها في كتاب آخر. ومما يحمد له أنه لم يغفل الجانب الأدبي لمن يترجم له إذا كان شاعراً أو ناثراً فيورد نماذج من شعره وأدبه، وهذا دليل على وجود الحسّ الأدبي لديه، ويثبت أنه من محبي الأدب ومتذوقيه الحريصين على روايته. وتضمن كتابه قصائد عدة كتبت باللغة الفصيحة، وأشار إلى أن الشعر غير الفصيح لا يليق بالكتاب[1].

وسأعرض فيما يأتي للشعر في الكتاب. عندما ذكر ابن بشر وفاة محمد بن إسماعيل الصنعاني عام ١١٨٢هـ، وهو أحد مؤيدي دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، المناصرين لها، أورد ثمانية وثلاثين بيتاً من قصيدته الدالية التي بعثها إلى الشيخ محمد بن عبدالوهاب يؤيد فيها دعوته المجددة، مطلعها (من الطويل):

(١) ابن بشر، عنوان المجد: ١١٨/٢ (حوادث سنة ١٣٤٩هـ).

سلامي على نجدٍ ومَنْ حَلَّ في نجدِ
وإن كان تسليمي على البعدِ لا يُجْدِي[(١)]

وذكر أنّها تقع في سبعين بيتاً[(٢)]. وأشار في ترجمته وتَعْدَاد بعض مؤلفاته أن له ديوان شعر[(٣)]. وهو مطبوع، ولدى كاتب البحث نسخة منه.

وحين ذكر وفاة الشيخ محمد بن عبدالوهاب عام ١٢٠٦هـ ساق مرثيةَ المؤرخ حسين بن غنام (ت ١٢٢٥هـ) العينية، التي تقع في تسعة وثلاثين بيتاً، مطلعها (من الطويل):

إلى الله في كشفِ الشدائد نفزعُ
وليس إلى غيرِ المهيمن مَفْزَعُ[(٤)]

ودوَّن اثنين وثلاثين بيتاً من قصيدة حسين بن غنام في تهنئة الإمام سعود بن عبدالعزيز (ت ١٢٢٩هـ) بالحج، في حوادث سنة (١٢٠٦هـ)[(٥)]؛ لأن فيها ثناءً على الشيخ محمد بن عبدالوهاب، مطلعها (الطويل):

غياهِبُ ليلِ الشركِ مزّقه الفجرُ
فأصبح دينُ الحق طالعُهُ الغَفْرُ[(٦)]

وأثبت بقية القصيدة، التي تتكون من خمسين بيتاً في آخر ترجمته المطولة

(١) عنوان المجد: ١/١٠٨ (حوادث سنة ١١٨٢هـ).
(٢) ابن بشر، عنوان المجد: ١/١٠٧.
(٣) المصدر السابق: ١/١٠٧.
(٤) المصدر السابق: ١/١٩٣ (حوادث سنة ١٢٠٦هـ).
(٥) المصدر نفسه: ١/١٩٧.
(٦) الغفر: ثلاثة كواكب خفية بين السماك الأعزل وزباني العقرب، وهو من منازل القمر، وإذا نزل القمر به كانت تلك السنة من السعود، ولا سيما في استنباط المياه. الأنواء، لابن قتيبة، ص ٦٧ – ٦٨.

للإمام سعود بن عبدالعزيز في حوادث عام ١٢٢٩هـ[١]. وذكر ثلاثة أبيات كان الشيخ محمد بن عبدالوهاب ينشدها كثيراً[٢].

وفي حوادث سنة ١٢١١هـ أورد قصيدة حسين بن غنام الطائية التي ناقض بها قصيدة محمد بن عبدالله بن فيروز (ت ١٢١٦هـ) التي مطلعها (الطويل):

أنامل كفِّ السعدِ قد أثبتَتْ خَطّاً
بأقلامِ أحكامٍ لنا حررتْ ضَبْطَا

ومطلع قصيدة حسين بن غنام:

على وجهها الموسومِ بالشومِ قد خُطَّا
عَروسُ هَوى ممقوتةٌ زارتِ الشَّطَّا[٣]

وفي حوادث سنة ١٢٢٩هـ يذكر أن أحد شعراء عُمَان قال قصيدةً طويلةً في مدح الإمام سعود بن عبدالعزيز أثبتَ منها الأبيات الثلاثة الآتية (الطويل):

إذا جُزْتَ بابَ السيفِ تلقاه فارساً
وإن جزتَ باب العِلْمِ تلقاهُ عالما

وإن جُزْتَ بابَ الخوفِ تلقى مَخَافةً
وإن جُزْتَ باب السلم تلقى مسالما

وإنْ جُزْتَ بابَ الدينِ تلقى ديانةً
وإنْ جزْتَ بابَ الحُكْمِ تلقاهُ حاكما[٤]

وفي حوادث سنة ١٢١١هـ ساق قصيدة لحسين بن غنام في تهنئة الإمام

(١) ابن بشر، عنوان المجد: ٣٥٦/١.

(٢) المصدر نفسه: ١٨٤/١ (حوادث سنة ١٢٠٦هـ).

(٣) عنوان المجد: ٢١٩/١ (حوادث سنة ١٢١١هـ).

(٤) المصدر نفسه: ٣٥٦/١.

عبدالعزيز بن محمد (ت ١٢١٨هـ) شهيد الدرعية بمناسبة انتصاره في موقعة سحبة على ثويني بن عبدالله (ت ١٢١١هـ) والي المنتفق في العراق، وكان قائد الجيش ابنه سعوداً، أولها (الطويل):

تلألأ نورُ الحقّ وانصدَعَ الفَجْرُ
وديجورُ ليلِ الشركِ مَزَّقه الظهرُ

دوّن منها سبعة وثمانين بيتاً[١]:

وفي حديثه عن الحملة الفرنسية على مصر ذكر ثلاثة أبيات نسبها لأحد شعراء الحرمين، ولم يذكر اسمه، أولها (المتقارب):

فيا لهفَ نفسي لما قد جرى
توالي الخطوب على القاهرة[٢]

وعند ذكره وفاة رحمة بن جابر بن عذبي العُتْبِي سنة ١٢٤٢هـ/ ١٨٢٦م، زعيم الجلاهمة في البحرين والكويت أورد له ترجمة، وكتب أنه أحد عمال الإمام سعود بن عبدالعزيز في الخوير (خور حسان) والدمام والقطيف، وقدم عنه معلومات لم أجدها عند من ترجموا له، ولاسيما عنايته بالأدب والشعر. قال عنه في حوادث سنة ١٢٤٢هـ من كلام طويل: «وكان رحمه الله كثير اللهج بالأشعار، لا سيما أشعار الحرب والحماسة، وله شعر جيد، وله محبة لأهل هذا الدين، وأهل هذه الدعوة من هذه الطائفة، فمن شعره فيهم الدالية التي أنشأها بعد ما هدمت الدرعية تنبئ عن حسن عقيدته ومحبته لهم، فمنها قوله (الطويل):

فيا أيها الإنسانُ إنك ميتٌ عليك بتقوى الله منها تزودا

---

(١) ابن بشر، عنوان المجد: ١/٢٢٨.

(٢) المصدر السابق: ١/٢٥٠ (حوادث سنة ١٢١٢هـ).

أورد منها أحد عشر بيتاً[1]، وشعره ضعيف.

وفي آخر حوادث سنة ١٢٤٤هـ ذكر وفاة الشيخ عبدالرحمن بن حمد بن ناصر بن معمر، ووصفه بأنه أديب متواضع حسن السمت والسيرة، وله أشعار رائعة، لاسيما في أهل الدرعية، فإن له فيهم قصائد منها القصيدة الطنانة التي رثاهم بها، وذكر ما جرى لهم وعليهم، أولها (من الطويل):

إليك إلهَ العرشِ أشكو تضرعاً
وأدعوكَ في الضراءِ ربي لتسمعا

أثبت منها اثنين وعشرين بيتاً[2].

وعندما توفي الإمام تركي بن عبدالله رثاه عدد كثير من الشعراء بالشعر غير الفصيح، وممن رثاه شعراً فصيحاً الشيخ عثمان بن عبدالعزيز بن منصور بقصيدة أولها (من الطويل):

أبرْقٌ بدا من جانبِ الشرق يكشفُ
يَذكِّرُ ألافاً وللدمع يُنْشِفُ

أثبت منها اثنين وثلاثين بيتاً[3].

ولما تغلب الإمام فيصل بن تركي على عبدالله بن ثنيان عام ١٢٥٩م، واستتبت له الأمور، وبايعته وفود البلدان، بعث إليه الشاعر عبدالجليل بن السيد ياسين الشافعي (ت ١٢٧٠هـ) نزيل البحرين قصيدة طويلة يمدحه ويهنئه بمجيئه من

(١) ابن بشر، عنوان المجد ٥٢/٢ – ٥٤. ولرحمة ترجمة مطولة في دليل الخليج، الجزء الثالث من القسم التاريخي، ص ١٢٣١ – ١٤٣٤هـ، وللدكتورة حياة محمد البسام (أعمال رحمة بن جابر البحرية في الخليج العربي بين القرصنة والانتقام)، ولم يكن عنوان المجد من مصادرها، وله حضور في جميع كتب التاريخ الحديثة التي كتبت عن دول الخليج العربي، وكتبت عنه أيضاً دراسات مفردة.

(٢) المصدر السابق: ٦٧/٢ – ٦٩.

(٣) عنوان المجد: ١١٨/٢ – ١٢١ (حوادث سنة ١٢٤٩هـ).

مصر واستيلائه على مقاليد الحكم بالعز والنصر مطلعها (من الطويل):

لـربِّ الـعُـلا أهـل الـثـنـا وافـرُ الحمـدِ

علـى نـعـمٍ جَـلَّـتْ عـن الحَـصْـرِ والـعَـدِّ

أوردها ابن بشر كاملة وتقع في تسعة وخمسين بيتاً في عنوان المجد وفي ديوانه[1].

وجميع الأشعار المتقدمة التي ذكرتها تعد من شعر العلماء الذي هو أقرب إلى النظم منه إلى الشعر، وهي أشبه بشعر الشعراء قبل طلائع النهضة الأدبية الحديثة، ولا يخلو بعضها من أخطاء عروضية.

وفي عنوان المجد أشعار قليلة متفرقة تجاوزتُ عن ذكرها اكتفاءً بالقصائد دون المقطعات.

ويستشهد في بعض المناسبات بشعر قديم، من ذلك استشهاده بأبيات أبي العتاهية المشهورة التي هنأ فيها الخليفة المهدي (ت ١٦٩هـ) بالخلافة، بمناسبة تولي الإمام فيصل بن تركي مقاليد الحكم، وتغلبه على خصومه (من المتقارب):

أتـتـه الإمـامـة[2] مـنـقـادة — إلـيـه تجـرِّر أذيـالـهـا

فـلـم تـك تـصـلـح إلاّ لـه — ولم يـك يـصـلـح إلا لـهـا

ولـو رامـهـا أحـدٌ غـيرَهُ — لـزلـزلـتِ الأرض زلـزالـهـا[3]

واستشهد بقول الشاعر الذي لم أَهْتَدِ إلى اسمه (الكامل):

---

(١) ابن بشر، عنوان المجد: ٢/٢٢٠ – ٢٢٦ (حوادث سنة ١٢٥٩هـ)، وديوانه المسمى روض الخل والخليل: ٢٤٨ – ٢٥٥.

(٢) في شعر أبي العتاهية (الخلافة).

(٣) ابن بشر، عنوان المجد ٢/١٢٥، (حوادث سنة ١٢٥٠هـ).

وَرِثَ الإمـــامـــةَ كـــابـــراً عـــن كـــابـر
لا زال ظـــلاً دائـــمـــاً ممـــدودا
هَــــزَّتْ بمـظـهـرِه الـولايـةُ عِـطْـفَـهـا
فـرحـاً بـــه، وتـــــأوَّدَتْ تـأويـدا
مَــلِــكٌ بـراحـتِـهِ الـصـوارمُ تشتكي
تَـعَـبَ الجِــلاَدِ وكـم تَـشُـقُّ جلـودا
مـلـك لــه عـنـد الـكـفـاح عـلامـةٌ
أعـنـي بـه الـتـكـبـيرَ والـتـحـمـيـدا[1]

وبمناسبة تسلط محمد أفندي (ت ١٢٥٤هـ) الذي بعثه خرشد باشا (محمد خورشيد باشا ت ١٢٥٦هـ) حاكماً على الأحساء، ثم قتله وهو عائد من عين نجم يريد قصره في الهفوف، استشهد بالبيت المشهور (من المتقارب):

إذا تم شـــيءٌ بـــدا نَـقْـصُـهُ   تـوقَّـعْ زوالاً إذا قـيـل: تَمّ[2]

وهذا يدل على أن ابن بشر له اطلاع على مدونة الشعر العربي القديم، ويحفظ نماذج من عيونه، ويستشهد بها في المواقف المناسبة.

وأعدُّ ابن بشر من كتاب الإنشاء، وإنشاؤه أقرب إلى الأسلوب الأدبي، والدليل على ذلك أن له عبارات أدبية انفرد بها في كتبه التي وصلت إلينا، من ذلك مقدمة كتاب مرشد الخصائص التي ضمنتها هذا البحث، والرسالة التي أجاب فيها عن رسالة الشيخ محمد بن إبراهيم بن سيف (ت ١٢٦٥هـ)، وأفاد فيها ابن بشر بحادثة مقتل تركي بن عبدالله على يد مشاري بن عبدالرحمن، واقتصاص فيصل بن تركي منه، وعلق ابن بشر في رسالته على الحادثة، وأسهب في الحديث عن مناقب الإمام

(١) ابن بشر، عنوان المجد: ٢/١٢٥.
(٢) المصدر نفسه: ٢/١٧٨، (حوادث سنة ١٢٥٤هـ).

تركي، وتقع في نحو ثلاث صفحات، أوردها كاملة[١]:

«من الفقير إلى الله تعالى عثمان بن عبدالله بن بشر إلى الأخ المحب الشيخ محمد بن الشيخ إبراهيم بن سيف، أمده الله تعالى بعنايته، وأفاض عليه سوابغ فضله وكرامته آمين. سلام عليكم ورحمة الله وبركاته. أما بعد: فورد مشرفكم الشريف، وخطابكم العالي المنيف، بهذا النصر العظيم لإمام المسلمين، فالحمد لله رب العالمين. وما ذكرت من إهلاك أولي البغي والفساد، وإراحة العباد منهم والبلاد، فهذه سنة الله في الباغين، وانتصاره للمظلومين، خصوصاً من سفك الدَّم الحرام، سيما إنْ كان في إمام، وقصص الأولين مواعظ الآخرين. وهذا الإمام - قدس الله روحه - هو وعشيرته هم الذين أعاد الله بهم الإسلام بعد غربته، وفرّج الله بهم عن كل مظلوم كربته. فلما مضى عليهم القدر، ووهى الإسلام بعدهم ودثر، وعدم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعمرت في حال الصلاة المجالس والمدارس، وسل سيف الفتنة بين الأنام، وصار الرجل في جوف بيته لا ينام، أظهر الله من بيتهم هذا الإمام الهمام، فبذل جهده في نصر هذا الدين، واجتمع شمل المسلمين، وجالد عليه بالسيف والسنان، وصبر على مقاساة أهل الطغيان من عساكر الترك والروم، ومن وازرهم من أعوانهم من القوم حتى خمدت الفتنة، وطفيت نارها، وانقشع دخانها وغبارها؛ فاجتمعت به الأمة بعد افتراقها، وحقنت به الدماء بعد إهراقها، وهابه الأقصى في حجازها وعراقها، وهو مع ذلك في تواضعه كرجل من عامة المسلمين يلبس مثلهم اللباس، ومثلهم على الراحلة إذا ركب في الناس، أبوابه لا تُرَد، وحجابه لا تَرُد، ويكافحه الجافي فيرد عليه أحسن ردّ، وتوقفه المرأة والضعيف للحاجة فيقف ولا يصد؛ فصار المسلمون به

(١) ابن بشر، عنوان المجد: ٢/١٠٦ - ١٠٩ (حوادث سنة ١٢٤٩هـ).

مبتهجين، وبأخلاقه الحسان مسرورين، وهم به في أوطانهم آمنون، ثم جاء هذا الشخص من مصر وحيد، ليس معه خدم ولا عبيد، فقام له الإمام أتمّ قيام، وأنعم عليه أحسن الإنعام، وأعطاه الخيل والسلاح، وخال فيه الصلاح، واستعمله أميراً على بعض رعيته، ثم لم يكفه إلاّ أن أراد الفتك به، فكف اللّه عنه يده، وخرج مستصرخاً من بلده، ثم رجع إلى الإمام لما يعلم منه من عدم الانتقام، والصفح عن أهل الإجرام، فوافاه بالصفح الجميل، وأعطاه العطاء الجزيل، وهو مع ذلك يحفر للوثبة، ويؤلب أعوانه وحزبه، فلما آثر الحياة الدنيا، وظن أن القصر هو المأوى، وثب على الإمام، وسفك الدم الحرام، فلما أسلمه للمنون، أخرج من قصره أرحامَه الأدنون (الأدنين)، وجعل مكانهم ما تعلمون. أيحق لمن هذه أفعاله أن ينصر؟ أو يكون والياً على المسلمين على هذا المنكر؟ كلا واللّه، وقد قال اللّه: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظۡلُومٗا فَقَدۡ جَعَلۡنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلۡطَٰنٗا فَلَا يُسۡرِف فِّي ٱلۡقَتۡلِۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورٗا﴾[1] قال ابن كثير، رحمه اللّه: «ينصر شرعاً»[2]، وقد روي في الحديث: «ما من ذنب أحرى أن يعجل اللّه لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخر له في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم»[3]. وقالت الحكماء: من سلّ سيف العدوان أغمد في رأسه، وقيل: ما اجتمع الملك والبغي على سرير إلا خلي، وقيل: لكل عاثر من راحم إلا الباغي؛ فإن القلوبَ مطبقة على الشماتة بمصرعه. وما أعطى البغي أحداً شيئاً إلا أخذ منه أضعافه.

ولما أتانا الخبر بقتل الإمام، ونحن قادمون بلد القويعية راجعين من الحج، ماج الناس بعضهم في بعض، وضاقت بما رحبت عليهم الأرض، وبلغت القلوب الحناجر، وظن أن يقع بين الناسِ التشاجر، وقلتُ لهم: واللّه لَيَلِيَنَّ فيصل، وليجْعَلَنَّ

(١) الآية ٣٣ من سورة الإسراء.

(٢) عبارة ابن كثير (أي: أن الوليَّ منصور على القاتل شرعاً). تفسير القرآن العظيم: ٣/٣٩.

(٣) أخرجه السيوطي في الجامع الصغير (الحديث رقم ٨٠٢٨، ٨٠٢٩)، ص ٤٩٠، وقال: حديث حسن.

اللّهُ له سلطاناً، كما وعد به - سبحانه - وأنزل فيه قرآناً. وبعد ما ألفينا البلدَ، وكثر الهرج ذكرناهم سنة الله في الأولين، ثم أقسمتُ لهم على نصر وليه تصديقاً لرب العالمين؛ فالحمد لله الذي صدق وعده، ونصر عبده، وليس يا أخ رزءاً أعظم من هذا النازل، ولا مصاب أعظم من هذا الخطب الهايل الذي صدع أعشار القلوب[١]، وأفاض الدموعَ من الغروب[٢] بمصاب الإمام المرحوم الشهيد، أسكنه اللّهُ غرفَ الجنان، وأفاض عليه شآبيب المغفرة والرضوان. فيا له من إمام!، ما أوفى ذمامه! وقائم بنصر الإسلام ما أحسن قيامه! لكن على الموت سلفت الأمم، وجرى بمحتومه القلم؛ فما مات أحد قبل أجله الذي قدر له، وما تقدم عنه ولا تأخر وزنَ خردلة، ولو كان من الحِمام نجاة أو وَزَر[٣] لكان أولى بذلك سيد البشر ﷺ فإن كان جرى من العيون عيون عند حدوث الحادث، فقد قرّت الأعين اليومَ عند انتصار الوارث، جعل اللّه هذه خاتمة الفجايع، وجعل نجله السعيد في أمانٍ من الحدثان وجنى بمزيد لا يشوبه نقصان . والسلام».

كتبت الرسالة بأسلوب يذكرني برسائل صبح الأعشى، فيها سجع غير متكلف، وطباق ومقابلة وجناس، وتمكن في اللغة، وتنويع في أسلوب الخطاب من خبر وإنشاء، وقصر في الجمل، واستشهاد بالقرآن والحديث، واقتباسٌ منهما، وتوظيف للحكمة والصورة بأنواعها المختلفة، وتعدد في الأفكار وترتيب في المعاني. وهذه هي خصائص الأسلوب الأدبي وسماته. وأعدُّ هذه الرسالة من بليغ الإنشاء في عصر ضعفت فيه أساليب البلاغة والبيان، وتحول الإنشاء إلى صنعة ضعيفة متكلفة.

---

(١) أراد بالتعبير أن القلوب كأنها كُسِّرتْ وفُتِّتت عشر قطع، وهو تصوير لشدة وقع المصاب عليها. قال امرؤ القيس:

وما ذرفت عيناك إلا لِتَقْدَحِي ... بسهميكِ في أعشارِ قَلْبٍ مُقَتَّلِ

تاج العروس (عشر) بتصرف.

(٢) الغروب مفردها غَرْب، وهو عِرق في العين يسيل منه الدمع ولا ينقطع. تاج العروس (غرب) بتصرف.

(٣) وَزَر بالتحريك: ملجأ.

سهيل فيما جاء في ذكر الخيل:

ألفه بناء على طلب من الإمام فيصل بن تركي، ويقع القسم المحقق دون الدراسة في نحو ثلاثين صفحة، وهو مقدار يسير. والمقدمة أقرب ما تكون إلى الصياغة الأدبية التي أشرتُ إلى خصائصها في الرسالة السابقة. وفي مظان ما كتب عن الخيل أشار ابن بشر إلى أن العرب نعتوها في أشعارهم ونثرهم، وتحدث عنها أهل اللغة والأدب وعن أسمائها وصفاتها في كتبهم وأخبارهم، وهو ما يدل على أنه كان على اطلاع فيما دوِّن عن الخيل في كتب الأدب، وما قاله الأدباء فيها من شعر ونثر. وأسلوب المقامات واضح في المقدمة التي صدّر بها الكتاب، وفيها عبارة اقتبسها من الحريري، وهي قوله: «وكانت إشارته حكماً، وطاعته غُنماً»[١] يعني الإمام فيصلاً[٢].

وأول كتاب ذكر أنه رجع إليه ربيع الأبرار للزمخشري[٣] (ت ٥٣٨هـ)، وهو من كتب المحاضرات العامة ذات الموضوعات المتنوعة مثل: العقد، ونثر الدر، ومحاضرات الراغب (ت ٥٠٢هـ) وثنى بذكر شرح ديوان المتنبي للواحدي[٤] (ت٤٦٨هـ)، وأورد قولين للأصمعي وأبي عبيدة[٥] يشعران بأنه رجع إلى كتابيهما في الخيل، واستشهد ببيت لمسلم بن الوليد الأنصاري (ت ٢٠٨هـ) في معرض ثنائه على الإمام فيصل ابن تركي وذكر مناقبه، والبيت (من الكامل):

كالشمسِ في كبدِ السماءِ محلُّها وشُعَاعُهَا في سائرِ الآفاقِ[٦]

(١) مقامات الحريري، ص ١١.

(٢) انظر المقدمة، ص ٥١ – ٥٤.

(٣) سهيل فيما جاء في ذكر الخيل، ص ٥٦.

(٤) المصدر نفسه، ص ٥٧.

(٥) المصدر السابق، ص ٥٨.

(٦) سهيل في ما جاء في ذكر الخيل، ص ٦٢.

وبسبعة أبيات لأبي الحسن التهامي (ت ٤١٦هـ)، أولها (من الكامل):

زان الرئاسةَ وهي زينٌ للورى ... فازدادَ رونقُ وجهِها بعلائِهِ[1]

وببيتين لشاعر مجهول، هما (من الطويل):

وإنِّي سأثني ما حييتُ مبالغاً ... لتعلم أني ذاكرٌ وشكورُ
وأملأ أرضَ اللهِ شرقاً ومغرباً ... مناقِبَ ما في شرحهنّ قصورُ[2]

وعلى الرغم من صغر ما عثر عليه من الكتاب فإن المادة الأدبية فيه ظاهرة ماثلة في صياغة المؤلف، وفيما رجع إليه من مصادر أدبية، وما استشهد به من أشعار؛ وأقوال نثرية.

وبناء على تقدم، يحق لابن بشر أن ينعت أديباً كما نُعِت مؤرخاً.

(١) المصدر السابق، ص ٦٣.

(٢) المصدر السابق، ص ٦٤.

خاتمـة

قدمت في هذا البحث لمحة موجزة عن حياة ابن بشر ومؤلفاته. وعرفنا من استعراض سيرته أنه أمضى حياته في بلدته جلاجل في سدير ولادة ونشأةً ووفاة، كان يملك مكتبة في منزله هي عدته في التأليف، وتبين من عرض مؤلفاته أن بالإمكان كتابة بحث موسع يتناول ما أوجزته، ويبسط القول في كثير من الأحداث والأخبار والأعمال المرتبطة بسيرته طوال ثمانية عقود من الزمن. ثم تحدثت عن مفهوم الأديب، وذكرت له ثلاثة مفهومات، ومدى انطباق اللقب على ابن بشر، ثم أبنت علاقة الأدب بالتاريخ، وانتقلت إلى الموضوع الرئيس في البحث، وهو إبراز ملامح الأدب في مؤلفاته، فبدأت بكتابه الأدبي مرشد الخصائص، فعنوان المجد، ثم سهيل فيما جاء في ذكر الخيل، وتبين أن ابن بشر كان ذا علاقة وثقى بالأدب، حفياً به، متذوقاً لنصوصه، مستشهداً بنماذج منه، يقتني بعض كتبه ومصادره، يحرص على رواية القصائد الطوال لمن يترجم لهم من العلماء الشعراء، وهذا واضح في تاريخه عنوان المجد، ويدون الأقوال والأشعار التي تحض على دراسة الأدب واستيعابه وتمثله، وحفظ نصوصه، ويعده من المقومات الشخصية التي تسمو بصاحبها، وترفع من قدره، كما مَرَّ بنا في كتابه مرشد الخصائص.

وكشف البحث أنه يملك مقومات الأسلوب الأدبي في مواضع من مؤلفاته، ومن رسالة كتبها جواباً للشيخ محمد بن سيف، وأنه قادر على تحبير الرسائل الإخوانية ذات الطابع الأدبي.

ومن رحلة البحث بدت لي المقترحات الآتية:

١ - عنوان المجد في تاريخ نجد في حاجة إلى لمسات مختص في الأدب واللغة، يصحح أخطاءه، ويخرج أشعاره، ويضبطها، ويصححها، ويذكر

أوزانها، ويترجم للمغمورين من أعلامه، وهم كثر، ويعيد صناعة الفهارس، ويستوفيها، ويعد ما أهمل منها مثل: فهرس الشعر. ويترجم لابن بشر ترجمة مفصلة، ويقدم دراسة وافية عن الكتاب.

٢ - في عنوان المجد شعر غزير متنوع حفي بأن تعد عنه دراسة منهجية، عنوانها (الشعر في عنوان المجد).

٣ - تتوافر معلومات جمة عن ابن بشر، من آثاره وسواها، تكوِّن إذا استثمرت واستقصيت ونظمت دراسة مطولة عنه.

ملحق

بعد أن قطعت شوطاً في كتابة البحث أفادني الابن الباحث المحقق إبراهيم بن سعد الحقيل أنه وجد وثيقة كتبها الشيخ عبدالرحمن بن محمد بن عبيد المتوفى في جلاجل عام ١٢٨١هـ عن مكتبته، تفيد أن ابن بشر كان يستعير منه كتباً، ومما استعاره منه تفسير ابن كثير، ومجلد من زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن القيم، وهداية الحيارى لابن القيم، وقطعة من تفسير البَغَوي، ومنتخب المنتخب، لابن الجوزي، وكلها كتب دينية.

ونص ما جاء في الوثيقة:

«عند عثمان بن بشر كتابنا تفسير ابن كثير، ومجلد من الهَدْي، وكتابٌ فيه نسخٌ بخط الشيخ عيسى، وفيه قبل هداية الحيارى، ووريقات جدول... أيضاً قطعة من تفسير البغوي، ومنتخب المنتخب».

وابن عبيد من أهل جلاجل، ولد ونشأ فيها، ورحل إلى الزبير مراراً لتلقي العلم على علمائها، وكانت لهم شهرة، وكان معاصراً لابن بشر، واستقر في آخر حياته في بلدة جلاجل إماماً لجامعها، ويدرس الطلبة، وتوفي في مكة حاجاً بعد قضائه حجته، ويعد أيضاً من علماء الزبير، لكثرة تردده عليها وإقامته فيها[1].

(١) علماء نجد خلال ستة قرون: ٢/٤٠٩، والزبير وصفحات مشرقة من تاريخها العلمي والثقافي: ١٧٥، وإمارة الزبير بين هجرتين: ٣/٩٠.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر:

- سهيل فيما جاء في ذكر الخيل، عثمان بن عبدالله بن بشر (١٢١٠ - ١٢٩٠هـ)، تحقيق: أ. د. عبدالله بن عبدالرحيم عسيلان، الطبعة الأولى، الرياض، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٣٣هـ.
- عنوان المجد في تاريخ نجد، عثمان بن عبدالله بن بشر، حققه وعلق عليه: عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ (١٣٣٢ - ١٤٠٥هـ)، الطبعة الرابعة، الرياض، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.
- مرشد الخصائص ومبدي النقائص في الثقلاء والحمقى وغير ذلك، عثمان بن عبدالله بن بشر، حققه وعلق عليه: أ. د. حمد بن ناصر الدخيِّل، الطبعة الأولى، الرياض، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٣١هـ.

ثانياً: المراجع:

- أعمال رحمة بن جابر البحرية في الخليج العربي بين القرصنة والانتقام، د. حياة محمد البسام، الطبعة الأولى، الرياض، مطابع دار الشبل للنشر والتوزيع والطباعة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.
- إمارة الزبير بين هجرتين، بين سنتي ٨٧٩ - ١٣٤٢هـ، عبدالرزاق عبدالمحسن الصانع، وعبدالعزيز عمر العلي، الطبعة الأولى، الكويت، مطابع مقهوي، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
- الأنساب، أبو سعد عبدالكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني (٥٠٦ - ٥٦٢هـ)، علق عليه عبدالله بن عمر البارودي، الطبعة الأولى، بيروت، دار الجنان، ودار الكتب العلمية، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
- الأنواء، أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة (٢١٣ - ٢٧٦هـ)، الطبعة الأولى، الهند، حيدر آباد الدكن، مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م.

- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الحسيني الزَّبيدي (١١٤٥ - ١٢٠٥هـ)، الجزء الثالث، تحقيق: عبدالكريم العزباوي، الطبعة الأولى، الكويت، وزارة الإرشاد والأنباء، ١٣٨٦هـ/١٩٦٧م.
- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، الجزء الثالث عشر، تحقيق: د. حسين نصار، الطبعة الأولى، الكويت، وزارة الإعلام، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م.
- تاريخ ابن ربيعة (... - ١١٥٨هـ أو ١١٥٦هـ)، درسه وحققه: د. عبدالله بن يوسف الشبل، الطبعة الأولى، الرياض، النادي الأدبي، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
- تاريخ ابن عباد (... - ١١٧٥هـ)، دراسة وتحقيق: د. عبدالله بن يوسف الشبل، الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، مجلة مركز البحوث، العدد الثاني، المحرم ١٤٠٤هـ/ أكتوبر ١٩٨٣م.
- تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد، ووفيات بعض الأعيان وأنسابهم، وبناء بعض البلدان من (٧٠٠هـ إلى ١٣٤٠هـ)، إبراهيم بن صالح بن عيسى (١٢٧٠ - ١٣٤٣هـ)، الطبعة الأولى، الرياض، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م.
- تاريخ البلاد العربية السعودية، أ. د. منير العجلاني، الطبعة الثانية، الرياض، مطابع دار الشبل للنشر والتوزيع والطباعة، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.
- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء، إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (٧٠١ - ٧٧٤هـ)، القاهرة، دار إحياء ا لكتب العربية، د.ت.
- الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي (٨٤٩ - ٩١١هـ)، الطبعة الثانية، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.
- جلاجل، د. إبراهيم بن سليمان الأحيدب، الطبعة الثانية، الرياض، الرئاسة العامة لرعاية الشباب، سلسلة (هذه بلادنا)، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.
- الحيوان، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ (١٥٠ - ٢٥٥هـ)، حققه: عبدالسلام محمد هارون (١٣٢٧ - ١٤٠٨هـ/ ١٩٠٩ - ١٩٨٨م)، الطبعة الثانية، مصر، مصطفى البابي الحلبي، د.ت.

- خزانة التواريخ النجدية، جمعها ورتبها وصححها: عبدالله بن عبدالرحمن بن صالح البسام (١٣٤٦ - ١٤٢٣هـ)، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م (دون معلومات نشر).
- دليل الخليج، ج.ج. لوريمر، الدوحة، مكتب أمير قطر، القسم التاريخي، الجزء الثالث، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.
- الدولة السعودية الأولى (١١٥٨ - ١٢٣٣هـ/١٧٤٥ - ١٨١٨م)، د. عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم، الطبعة الثانية، القاهرة، جامعة الدول العربية، ١٩٧٥م.
- روض الخل والخليل، ديوان السيد عبدالجليل (١١٩٠ - ١٢٧٠هـ)، الطبعة الثالثة، دمشق، المكتب الإسلامي، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م، طبع على نفقة الشيخ علي بن عبدالله آل ثاني (١٣١٠-١٣٩٤هـ).
- روضة الناظرين من مآثر علماء نجد وحوادث السنين، محمد بن عثمان بن صالح القاضي، الطبعة الأولى، القاهرة، مطبعة الحلبي، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.
- الزبير وصفحات مشرقة من تاريخها العلمي والثقافي عبدالعزيز بن إبراهيم بن عبدالعزيز الناصر، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م (دون معلومات نشر).
- عثمان بن بشر: منهجه ومصادره، عبدالعزيز بن عبدالله الخويطر، الطبعة الثانية، الرياض، مطابع اليمامة، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.
- عقْد الدرر فيما وقع في نجد من الحوادث في آخر القرن الثالث عشر، وأول القرن الرابع عشر (ذيل على عنوان المجد)، إبراهيم بن صالح بن عيسى (١٢٧٠ - ١٣٤٣هـ)، تحقيق: عبدالرحمن بن عبداللطيف بن عبدالله آل الشيخ (١٣٣٢ - ١٤٠٥هـ)، الرياض وزارة المعارف.
- علماء نجد خلال ستة قرون، عبدالله بن عبدالرحمن البسام (١٣٤٦ - ١٤٢٣هـ)، الطبعة الأولى، مكة المكرمة، مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة، ١٣٩٨هـ.
- مقامات الحريري (٤٤٦ - ٥١٦هـ)، قدم لها: عيسى سابا، بيروت، دار صادر ودار بيروت، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م.



ص.ب: ٢٩٤٥ – الرياض ١١٤٦١ – المملكة العربية السعودية –
هاتف: ٤٠١١٩٩٩/ ٠١١ – فاكس: ٤٠١٣٥٩٧/ ٠١١

P.O.Box: 2945 - Riyadh 11461 - K.S.A. - Tel: 4011999 Fax: 4013597
البريد الإلكتروني: info@darah.org.sa - موقع الإنترنت: www.darah.org.sa


/darahfoundation


/darahfoundation



/AddarahTube


@darahFoundation


darah.org.sa